موجز تاريخ الطب

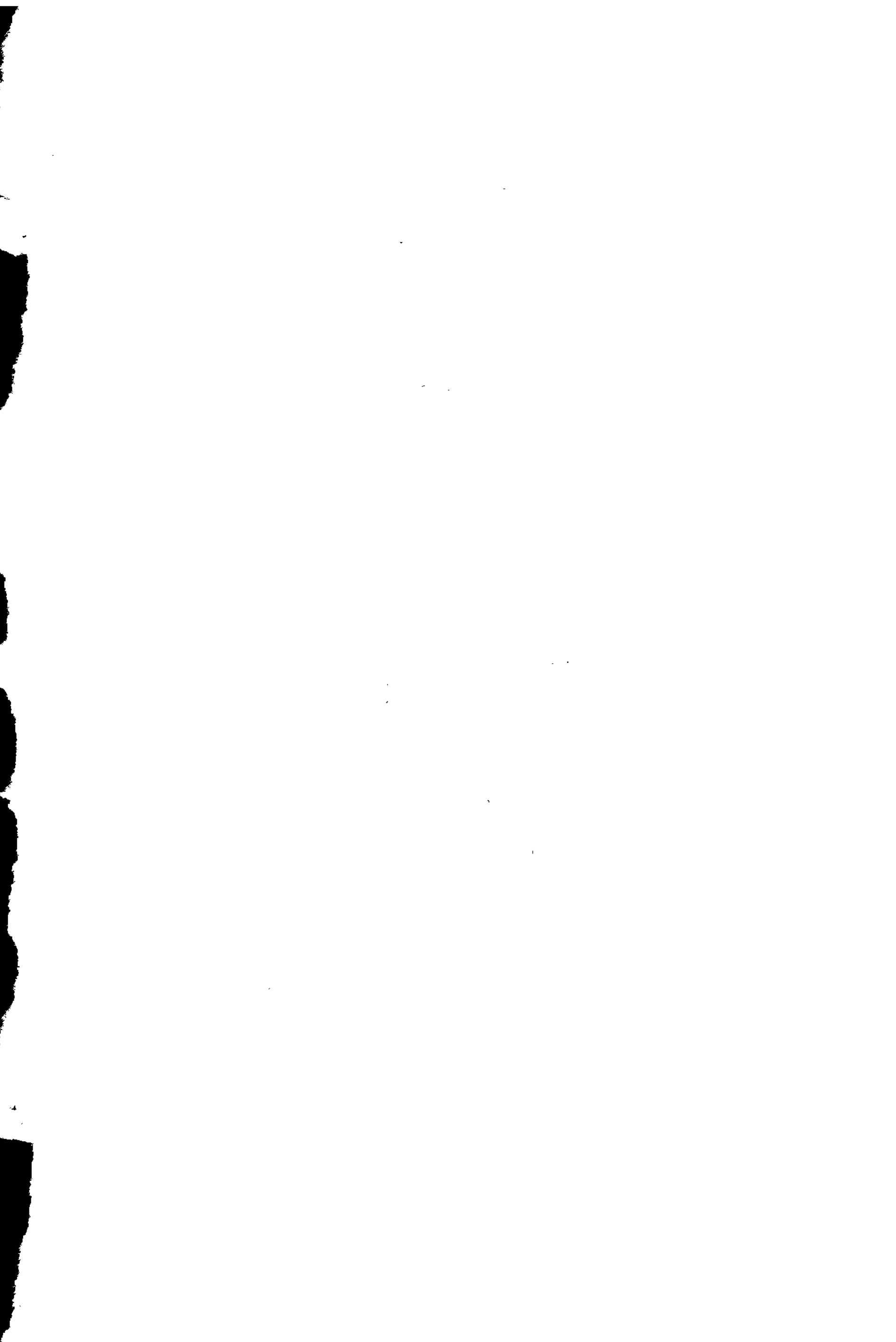
مرحلة ماقبل الاسلام

للدكتور

يوسف عبد الله الحميدان

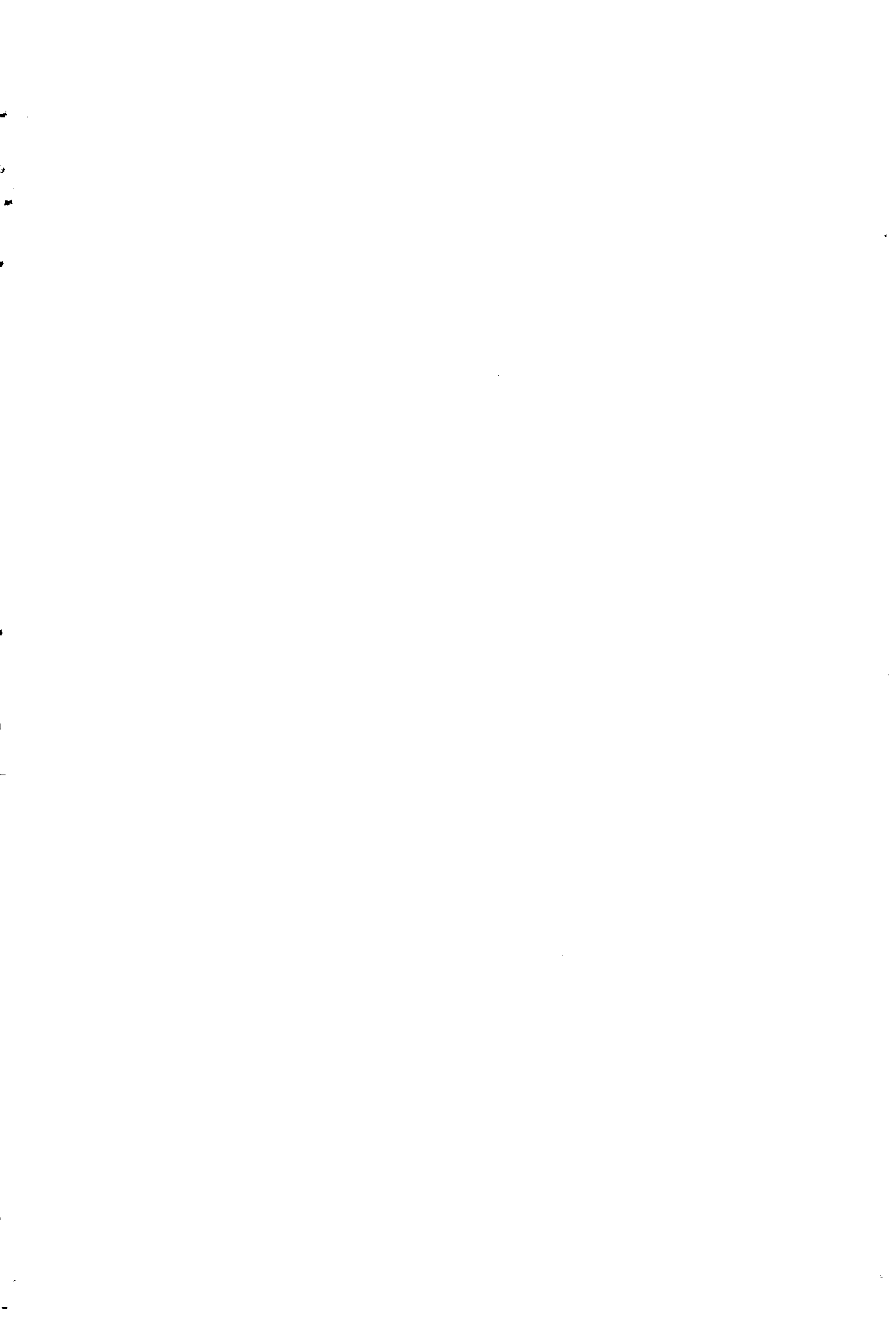
(الجزء الثاني)


بسم الله الرحمن الرحيم



الاهـــداء

إلى كل الذين تابعوا الجزء الأول من هذا الموجز . . أو أطلعوا عليه . . . أو اعجبوا به . . . أقدم الجزء الثاني راجياً أن تدوم الفائدة .



مقارنة موجــزه :

سوف يتذكر القارىء الكريم ما قلناه في الجزء الأول من شرح وتعليق . . . وسوف يتذكر أيضاً عند أى موقف وقفناه . . . ولكي اكون مخلصاً في مقصدى فاني سأحاول أيجاز مقارنة تاريخية لعلها تنفع وتفيد .

١ – كانت هناك مرحلة نبي الله ابراهيم عليه السلام.

٢ – وكانت بعدها مرحلة حمورابى وما أظهره من تشريع اجتماعى (لم يغفل أمور الطب والاطباء) .

٣ – ثم مرحلة (أبوقراط) التى انتهينا عندها ريثما نبدأها في هذا الجزء . . والذى دعوناه (القسم الثانى من موجز تاريخ الطب لمرحلة ما قبل الإسلام) .

ولكي أكون مخلصاً في مقصدي أكثر . . . فسوف أحرص على تقديم (أفتراضات) أو ظنون . . . لا تمكنني من ايجاز ما سبق فحسب . . . وانما تمكن القارىء الكريم من متابعة (المسيرة) بدون توقف أو انقطاع .

١ – فقد كان هناك مادعوناها (بطبقة الحكام والكهنة والعسكريين) . . . تلك الطبقة التى كانت تشكل أعلى السلطات في المجتمعات القديمة .

٢ ــ وكان هناك الصانع والزارع وصاحب الحرفة . . وهم يشكلون عامة الناس في تلك المجتمعات .

٣ ــ وكانت سلطات الحاكم والكاهن . . . هي (العامل المتوسط) بين الآله والناس . . . يحمونهم مـــن الخوف . . . ويؤمنون لهم الرجاء . . . الخوف من الشر (بانواعه) . . . والتقرّب إلى الخير بجميع طرائفه ووسائله .
٤ ــ وقد فرضت (السلطات الدينيه والدنيويه) نفسها فرضاً في هذا المقام . لا لأن (العـــامة) جاهلـــة فحسب . . . بل ولأنها كانت هي محور (الخدمات العامة) بجميع اشكالها والوانها .

٥ ــ تلك الخدمات العامة . . . تفرّعت وتشعبت حسب مفاهيم الناس وأدراكها وكانت تلك المفاهيم في بدايتها . . . أى في طور (التعلم والنمو والتطوير) . . . فلا عجب اذا ما أخذت الأمور مسارا طويلا قبل أن تتحول أو تتغير أو تتبدل . . . وليس من الانصاف أن نقول هذا بحكم مطلق . . . ولكن الاستحالة من طور إلى آخر . . قد أخذت تتدرج مع الزمن الطويل وليس القصير . . الزمن الطويل الذى مكننا من أن نفرق بين (سعادة الشعوب وشقائها) .. وجعلنا نميز ما بين (الطيب والخبيث).. وجعلنا نميز ما بين (الخير والشر) . . . وما بين الجهالة

والمعرفة :.: وما بين التفكير البدائي . . . والتفكير المتطور .

٦ ـ وقد كانت تلك . . . هي الهموم الأولى والمشكلات العويصه أمام الفرد العامي أو المبتدىء . . .أما الهموم الثانية فكانت مسألة (العقيدة) والخلود بعد الموت . . وأقول الثانية لأن ذلك الفرد ما كان ليستطيع (ضمان الخلود) بعد الموت ما لم يقدم لها مقدمات مقبوله من خلال (الوسطاء) خلال فترة حياته قبل الموت .

٧ ـ فالسحر والقرابين . . . والشعائر والطقوس المعبدية . . . كانت هي طرائق تلك السعادة . . . وهي نفسها طرائق الشفاء من الآلام والآفات . . . وأكثر من هذا وذاك . . . كانت هي (الوقاية والحماية) من كل الشرور والكوارث وسخط الآلهة . . . لا من جانب الآلام الجسدية فحسب . . . وانما من جانب الأكدار النفسية أيضاً . . . (أنظر الصور المرفقة) رقم (١) .

تري كيف تطور الحال ؟

من حق القارىء الكريم (بدون شك) أن يتساءل . . ومن حقنا نحن أن نشرح له تلك التساؤلات مهما كانت. . . فطرائق استحالتها من حال إلى حال . . . تحتاج إلى وقفة

المؤثرات الخارجية والدوافع الداخلية فى الإنسان القديم

تأمل طويله . . . وإلى نظرة واقعية من التحليل تجعلنا أمام ثلاثة أمور :ـ

الأمر الأول . . . أن نضع في الحسبان مدي تأثير الأنبياء والرسالات السماويه على نفوس المجتمعات . . . وعلى وجه الخصوص تلك التى جاءت بعد أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام . . . وفي طريقها صوب محمد (صلى الله عليه وسلم) .

الأمر الثاني . . . وأن نضع في الحسبان مدي تأثير ارشادات (المصلحين والمتعلمين) الذين تتابعوا خلال فترة الاستحالة . . . وبمعنى أوضح . . . تأثير وجود العلم والمعرفة على العقل والفكر والمجتمع . . . وهل تغيرت مفاهيم الناس ومداركهم فعلا ؟!

الأمر الثالث . . . وكذلك أن نضع في الحسبان مدي أثر وتأثير (الفكر والمفكرين) جميعهم على تلك المجتمعات. ومن خلال أجواء (البيئة) الجديدة التي عاشوا فيها . . . وكيف كان واقعهم المؤكد آنذاك . . . فهناك اختلاف محتوم (قد حصل) عملياً ما بين البيئة السابقة والبيئة اللاحقة. ولكن على أي شكل يا ترى ؟ . . .

قد يخطر على بال القارىء الكريم واحداً من تلـــك التساؤلات . . . وهو أمر متوقع . . . فلماذا جعلنا تصنيف

(الفكر والمفكرين) في المقام الثالث من التبويب ؟! .
وأقول (لقد) جعلناه بنفس القدر الذي صنّفنا فيه (المصلحين والمتعلمين)في المركز الوسط . . . أو في المقام الثاني من التبويب ... لأن تعاليم تلك الرسالات لم تطبق أو تنشر إلا بواسطة تلك الفئات (الوسط) وبديهي أن يحتـــل (الفكر والمفكرون) مركزهم الثالث بعد أن وضعوا انفسهم في موقف (المحلّل أو المركب) . وموقف تقصيّ الحقائق أمام تلك المجتمعات المزيج أو الخليط . . . مجتمعات ركبت تركيباً وسطاً لا هي بالقديم ولا هي بالجديد . . . وأكاد اسميها (مجتمعات القنطرة الأولى) . . . من العادات والتقاليد . . . فكانت في يوم من الأيام تصدر من مجتمعات ساذجه سليمة الطويه . . . وها هي تعبر وتتحول إلى مجتمعات ذات ملامح وظواهر غير ساذجة ولا مستسلمه للواقع كما كانت في الماضي كاملة الاستسلام . . . أنظر الصورة المرفقة رقم (٢) .

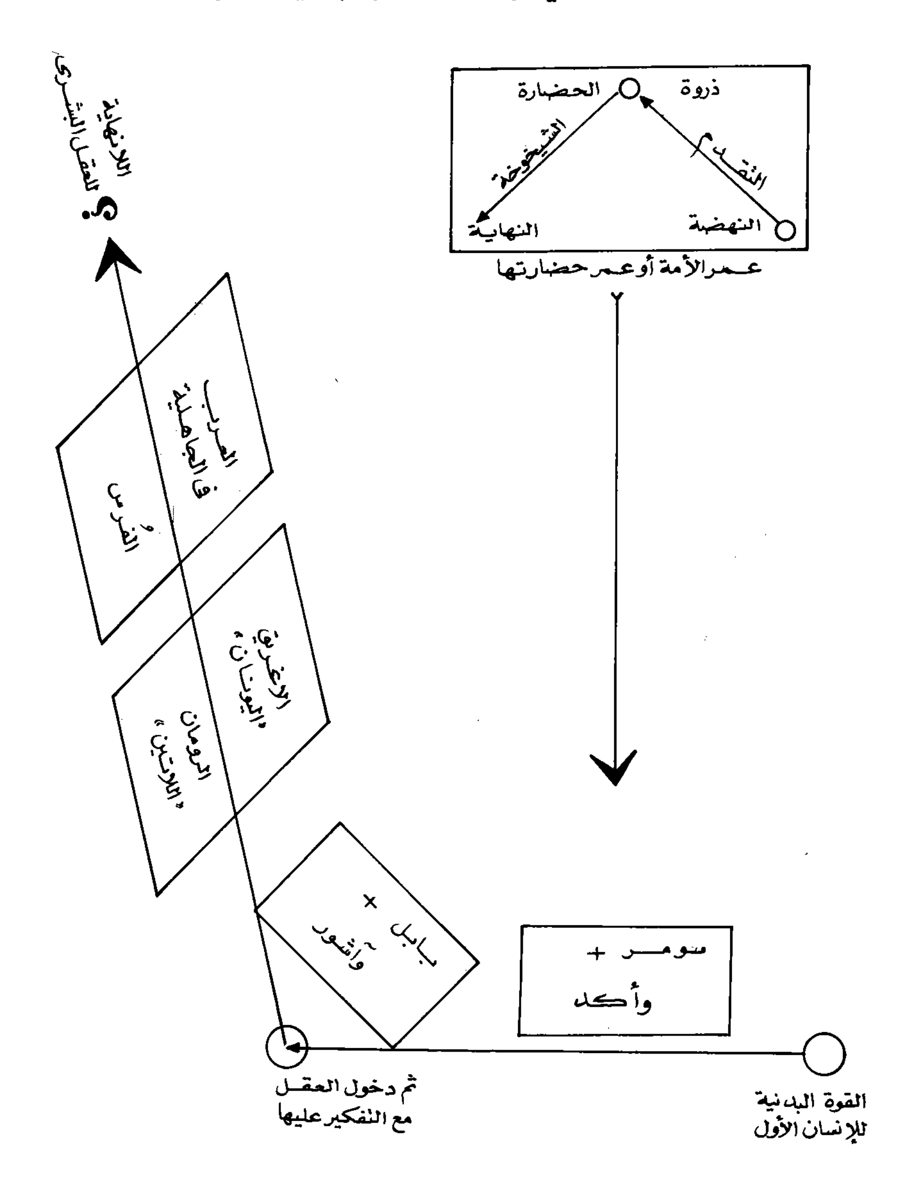
القنطرة الاولى

أولا – أنا اختلف مع الأستاذ (رالف ميجور) مؤلف تاريخ الطب الذي عبر عن رأيه في قناطر العبور تعبيراً ناقصاً (أنظر الصورة رقم ٣) . وأختلف معه في عدة نقط قد تبدوا بسيطة ولكنها غيرت مفاهيم تلك المجتمعات فيما بعد . ليس هذا فقط بل وقد أدخلتها في منعطفات جديدة أثارت الحيرة في نفوس الباحثين والمؤرخين منذ زمن بعيد .

فدعونا ننظر إلى مجتمع ما قبل القرن العشرين قبل الميلاد مثلا . انه مجتمع أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام . . . فماذا نجد ؟ سنتذكر عفواً ذلك النمرود الجبار . . . وسنتذكر مباشرة صاحب تحريق الناس بالنيران . . . وسنتذكر بداهة مطاردة السماء بالنسور الجبارة . . . ترى هل فكرنا كيف تهاوي ذلك المارد وتدمر ؟!.

الجواب يتعلق بحشرة مجهولة . . . أو بعوضة تافهة . . قلبت موازين الحياة والموت لدى المؤرخين . . . وموازين ووظائف الأعضاء لدي الأطباء . . . وموازين الخير

رموز الحضارة القديمة والمعاصرة فى شبه جزيرة العرب



والشر لدي اصحاب العقيدة . . . وقلبت موازين الصحة والآفات . . تري ماذا تعني كل تلك الأشياء ؟!

ودعونا نعـــود إلى مجتمع القرن الخامس عشر قبل الميلاد . . . مجتمع النبي موسي عليه السلام . . . ثم نتساءل.. لماذا حـُرمت المراضع على ذلك الطفل ؟!. وماذا كانت النتائج والمؤثرات ؟! . وهل فكر احد منا باسرار عودة الطفل إلى احضان أمه ؟!. ابداً . . . أنها معجزة طبيـــة عرفوها في عصرنا الحديث . . . عرفوها على شكل (تركيب) حليب الأم من الناحية الكيماوية . ورائحة جسم الأم من الناحية الطبيعية . ولمسات أصابع الأم من الناحية العاطفية .. ونظرات عيون الأم من الناحية السلوكية . ومنها كذلك عرفنا كيف تحول ذلك الشاب البسيط .. إلى قوة عملاقة .. وإلى قوة جبارة دمرت أولئك الجبابرة بسحرهم واعقبت ذلك التحرير الفردي بتحرير أمم وشعوب من سجون الذل وأسر الهوان .

ثم دعونا نعود إلى مجتمع القرن العاشر قبل الميلاد .. مجتمع النبي سليمان عليه السلام . . . تري كيف صوره اتباعه ، وكيف حيكت حوله حكمة الاقاصيص والأساطير ؟ . وكيف صيغت حوله الفتنة والشفاء من الأمراض والعاهات؟! . بل وكيف تحولت الأعضاء المشوهة أمامه إلى اعضاء

صحيحه ؟!. وكيف تبدلت الرغبات والشهوات المدسوسة إلى معجزات ؟!. فالاجابة تحتاج منا إلى وقت طويل . . . وإلى شرح أطول . . . سندركها متي اكتملت الصوره والنظريات والاراء . ومتي شُرحت عقائد المصلحين والمفكرين . . . لا في العهد اليوناني والروماني فحسب . . . وانما في عهد جاهلية العرب قبل الاسلام وصدق الله العظيم.

حين قال..(واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان .. وما كفر سليمان . . . ولكن الشياطين كفروا . . . يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت.. وما يعلمان من أحد حتي يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر) .

ان (القوة) عند الأنسان بمعناها المجرد البسيط ظالمة محبوبة . . . وسلوكها (هالة غريبة) مرغوب فيها في كل زمان ومكان . . . بل كانت في يوم من الأيام معبودة الجماهير . . . بدأت بها الشعوب البدائية بداية طبيعية . وانتهت اليها الشعوب المتحضرة نهاية قانونية . . . قد تكون (في بدايتها) أقرب ما تكون إلى الرغبة في التسلط والأذلال . فليس ذلك هو الواقع الحقيقي . . . وأن واقعها الحقيقي كونها أول ظاهرة من ظواهر الإنسان الطبيعية (كانت تتحكم بالحياة والأحياء) . . ولها الحكم الأخير في ترجيح كفة على كفة . . . وأعزو ذلك إلى ثلاثة أشياء :—

١ – ان القوة ذاتها . . . تعنى الصحة والمتانة الفردية وتعني الأمن والسلامة . . . وقد سبق وحللنا نفسية الإنسان البدائي و (كيف كانت) . . . بل وكيف كانت ظروفه الواقعية حيالها .

٢ – وهي تعني كذلك أموراً أخرى تتدخل في حياة الكائن الحي (جسمياً ونفسياً) أكثر منها تدخلا يتفق مع العقل والتفكير . . . أولها رغبة ومماتنة . وآخرها صراع وغرض ونشاط .

٣ – وأكثر من هذا كله . . . أنها تعنى بأن (قوة المجموع) من قوة الأفراد . وأن ضعف المجتمع في كيانه من ضعف الأفراد . . . فلما تدخلّ (الفكر) فيما بعد . . . تحولت الأمور بشكل أوضح من طور إلى طور . . . ولسوف نعرف هذا من سياق تحليلاتنا القادمة .

ولكن أول خطـوة من خطـوات العبـور بدأت بشيء آخر غير القوة . . . وبدأت على شكل معتقدات دينية ووصفات صحية وسلوك اجتماعي متجدد . . . ومجرد ذكرى لكلمة (سلوك اجتماعي) . . انما اعني به الشمول . . . شمول اعمال الحاكم والكاهن . . . اعمال الصانع وصاحب المهارة الفنية . . . وكل ما تعودته (العامة) من أعمال (روحانية) ساذجه . . . انحرفت عن

جادة الصواب فاستغلتها الكهنة والحكام في جميع المرافق والمواقف .

ثم تبعتها خطوات سياسية وعسكرية . . . خطوات وأن أختلفت في مظاهر التطور إلا انها تتفق في المبدأ الواحد . مبدأ اكاد اسميه (سلطة الفرد) فقط يدور حوله (منحرفون) كانوا يمارسون تلك القوي ضد المجتمعات الساذجة والعامة من الناس . . . ومرة أخري نقول (سوف نري ذلك واضحاً من سياق الكلام المقبل) .

وتتابعت الخطوات بعد ذلك . . . خطوات زراعية وصناعية وشبه فكرية وبدون شك دخلت من خلالها خطوات متطورة في فنون (الطب والعطارة) اسهمت تلقائياً في تطور (العلوم والمعارف) بمرور الزمن . . . كما وأسهمت في تحول (فنون العلم والمعرفة) إلى تربية اجتماعية وجدانية شاملة تؤمن بالمجموع بدلا من الفرد .

ولكي ندلل على ما نقول فأليكم الدليل : —

أولا — لقد اثبت تاريخ البحث العلمي وتاريخ الابحاث الفكرية المتتابعة . . . عمق أيمان كل (الفئات البشرية) بهذه الدساتير الحيوية . . . الفرق ما بين تلك الفئات . . . لا يتعدي فرزها إلى شعوب وتصنيفها إلى قبائل اما (قوية

واما ضعيفة) . . . تحولت حسب مفهوم التطور إلى أمم وشعوب قد تكون (متعلمة فكرياً ومتقدمة ثقافياً) أو قد لا تكون .

ثانياً – يقول الأستاذ (هنري براستد) مؤسس المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو . . . ان معرفة الماضي الإنساني معرفة صحيحه . . . لا تتم ابدا ما لم نفهم سلوك (الإنسان) من الداخل . . . أي أعماق نفس ذلك الكائن الحي وسرائرها . . . ما هي افكاره وآماله . . . وما هي عواطفه . . . وأعماله . . . وما هي ظروف (الأبداع المادي والروحي العلمي) التي توصل إليها؟ . . . تري هل عندنا صورة واضحة عن تلك التساؤلات ؟ . . أغلب ظني أنها (مشكلة وجود وكيان) قبل ان تكون مشكلة (سلوك ذاتي أو جماعي) ولكي أكون واضحاً أكثر . . . فاني سأستعين على هذه النقطة بقول الاستاذ العقاد رحمه الله حيث يقول (ان مرد الروايات والأخبار والأساطير القديمة . . . يعود على الأكثر إلى جهل الأوائل بوظائف اعضاء الجسم.. وإلى جهله كذلك بأمور الوراثة واسرارها . . . فلما جاءت علوم الزراعة . . . ودراسات علوم الحيوان والأحياء . . . كان لها الفضل الأكبر في التمييز والمقارنة . . . لا للسلوك الفكري واللغوي ما بين الأحياء فحسب . . . وانما لدراسة تواريخ البشر الاجتماعية وتقدم العلمي والثقافي) .

ثالثاً – النظرة الإجمالية لهذا الكلام أو هذه الشروح لا نقصد منها ابعاداً غامضه ولا نقصد منها تلك الحضارات التي عبرت من الشرق إلى الغرب . . . ابداً . . . فهذا أمر بديهي ويستند على ركائز تاريخية واقعية :

أ – إذ لولا ذلك العبور المقصود . . . ولولا ذلك التمييز الفكرى . . . لما كان هناك امتداد لحضارات بشرية قديمة .

ب – ولولا ردود الفعل منها ضد الصدود والمقاومة لما ظهر امامنا تفريق أو تمييز واضح ما بين (سلوك وسلوك) لحضارات بشرية جديدة .

ج – فتلك الأساطير والعادات المهنية والعبادات الدينية . . . قد كانت تدل دلالة واضحة على على وجود (عنصر النقاش والجدل) وهذا أمر بديهي لا من أجل الحقيقة والدليل أو البرهان . . . ابداً . وانما من أجل استخلاص المصلحين والمفكرين . . . فوجود الاصلاح الإجتماعي من جهة ووجود المفكرين من جهة ثانية . قد جرب أولئك القوم بطرئق ووسائل واقعية متعارف عليها (أنذاك) وكانت هي

أدوات التعبير والاقناع بلا شك ولكننا نجهلها بالتحديد .

د — والواقع التاريخي المتوارث هو البديل الوحيد الذي أكد لنا عبور تلك الأنواع من السلوك الإجتماعي . . . والذي كان يتماسك مع بيئة ضد بيئة . . . اما تناسباً كاملاً وأما تناسباً مجزأ . . . وبدون شك حسب نوع (المزاج) والظروف والأحوال . . . والأمر الذي دلنا على شيء مؤكد . . . هو تطور (المهارة والفطنة ولأادراك) أكثر مما سبق . ه . وكانت (العناصر الحقيقية) جاهزة وهي التي صنعت تلك القناطر وهي التي مهدت الطريق امام المؤرخين والعلماء والباحثين . وان أختلفوا في التعبير أو تباينوا في الاستشهاد (كما هوواضح من الخريطة المرفقة) رقم (٣) .

ه — وان انس . . . فلا انسى الاستعداد الذاتى . . . وخصوصاً الاستعداد النفسي عند صاحب الرغبة والحياة . كان هو المهماز الأول وهو البداية . . . لحقه بعد ذلك الاستعداد العقلى للمفاضلة والمقارنة. . . قنطرة حيوية من الداخل

تتفق وتتسجم مع قنطرة حيوية من الخارج
في عملية العبور من الحياة البدائية إلى حياة المهارة
البدنية ثم الفكرية . . . ان ذلك الاحساس الكامن
والشعور الداخلى . . . الذي تفجر فجأة . . .
وحول حياة ذلك الإنسان الساذج الغامض إلى
ما هو أعظم من اللغة والعقل والمهارة . . .
اسهمت . . . فتحول من الفردية إلى الجماعية
تلقائياً ولكن تدريجياً .

(أ) تري ماذا كانت انفعالات نفسه وفكره
وتفاعلاتها ؟ ! .
بل ماذا كانت (نوعية) تلك الاحاسيس
والمشاعر التي غيرت الإنسان من حال إلى حال؟!

(ب) تري ما هي القدرة والنشاط . . . على نقل تلك
المهارات والمواهب من مكان إلى آخر . . .
ومن بيئة إلى بيئة ؟ . انه الاستعداد الذاتي .

(ج) فاذا قلنا انها عملية الانتقال من السذاجة إلى
المهارة . . . ومن الجهل إلى الثقافة . . . تري
أليست عملية تربوية ذاتية ؟ .

(د) وعمليات ذلك (الاستعداد الذاتى) المركبة ..

أليست هي المسؤولة عن تغيير حال الإنسان ؟! .
من إستعداد (فوري) ساذج . . (كان في يوم من الأيام يعتمد على الغرائز الحيوية والقوة البدنية) . . فتطور إلى استعداد أقوي وأعظم يعتمد على الفكر والخيال والبحث عن الحقائق؟.
فإذا كنا مقتنعين بما نقول . . . فلنعد إلى تلك الأسرار والى تلك الدوافع الجديدة :-

أولا : . . . لن تكون هناك دوافع سليمة إلا متى صدرت من جسم سليم .

ثانياً : . . . ولن تكون هناك دوافع سليمة إلا إذا نبعت من عقل سليم .

ثالثا : . . . ولن تكون هناك دوافع سليمة إلا إذا اندفعت من نفس سليمة .

هذا هو المحور الفردى الذي (لا يسلم ولا يتكامل) إلا بوجود (المحور الجماعي) وقدرته و كفاءته :

أ - في التنظيم السليم للمجتمع حتي يكون بناؤه سليماً .

ب - وفي التشريع السليم للمجتمع حتي يكون بناؤه منظماً .

ج – وفي القيادة الحكيمة للمجتمع حتي يكون بناؤه قوياً . ويقول العقاد رحمة الله عن هذا . . .

(فإذا كان البابليون قد رصدوا النجوم . . .
ووصلوا إلى نتائج قيمة فيها . . فهم لم يضعوا
علم الفلك . . . فهذا العلم يونانى . . . نشأ
عن البحث اليوناني والفلسفة اليونانية) .

ويقول أيضاً . . . (لئن كان المصريون قد وصلوا إلى نتائج قيمة في الهندسة العملية والآلية . . . فليس هم الذين وضعوا علم الهندسة . . وانما اليونان هم الذين ابتكروه) .

ويذكر شيئاً آخر . . . أبعد من هذا وذاك (ان المذاهب الفلسفية المختلفة التى حاولت منذ القرن السادس قبل الميلاد فهم الكون وتفسيره وتعليله . . . قد نظمت عقل الإنسان الجديد وعلمته فلسفات علم السلوك والأخلاق) بأسلوب جديد .

ويذكر المؤرخون عن سبارطه (القرن العاشر ق.م) أشياء مماثلة لما حدث في بابل وآشور تماماً :–

١ – فلقد حولوا من الجيش والحكم العسكري إلى (نظام سيادة مطلق) على المجتمع اليوناني . . .

٢ ــ وبما أن أغلب القبائل تعمل في الجيش . . . فقد حرُمت على الناس مهنة الزراعة والصناعة . . . وأوكلوا كل شيء إلى العبيد والأرقاء .

٣ ــ أما سكان المناطق الجبلية . . . وسكان البلاد البلاد المفتوحة فكانوا يؤدون الضرائب . . . ويدفعون التعويض عن الخدمة العسكرية .

٤ ــ وهذه هي البداية الأولى (لتصنيف المجتمع إلى طبقات) . . . وتحويله من فرد عامي ساذج . . . إلى مجموعات من البدواة والحاضرة . . . ومن الجهالة إلى المعرفة . . . ومن الفردية بلا تشريع إلى فردية تحكمها قوانين وتنظيم وتشريعات . . يصورها الأستاذ العقاد تصويراً رائعاً بقوله . .

(تصور تلك الشعوب الأولى التي كانت ترهب كل شيء . وتتأثر بأدنى سبب تري في كل شيء الاهً تخافه وتتملقه وترضاه . . تراه في الهواء . . وفي الماء وفي الأرض وفي السماء . . وقبل الموت . . وبعد الموت . . بل تراه في الاحجار والحشرات والاشجار . . وفي الوان النباتات والأنهار . . تري آلهة تقدم اليها الصلوات وضروب

القربان . . . وتتخذ من هذا الاكبار والاجلال قواعدها الخلقية والسياسية والاجتماعية . . . ثم تصور تلك الشعوب وقد تغيرت واستحالت . . فهي لم تعد ترهب الأشياء ولا تخافها . . بل تحاول اخضاعها وتذليلها واستخدامها فلم تعد تري في الهواء الاهاً . . بل تحاول ان تفهم الهواء وان تستخدمه في حاجتها ومنافعها) .

تصور تلك الشعوب في هاتين الحالتين لتشعر بالفرق العظيم وتشعر بذللث الزمن الطويل الذي يجب ان تقتنصه لتنتقل من احدي هاتين الحياتين إلى الأخرى. وان استاذنا العقاد . . يعزو أسباب هذا التغيير (أو هذا التطور من من حال إلى حال) . . . إلى عدة أسباب : —

١ — السبب الأقتصادي :

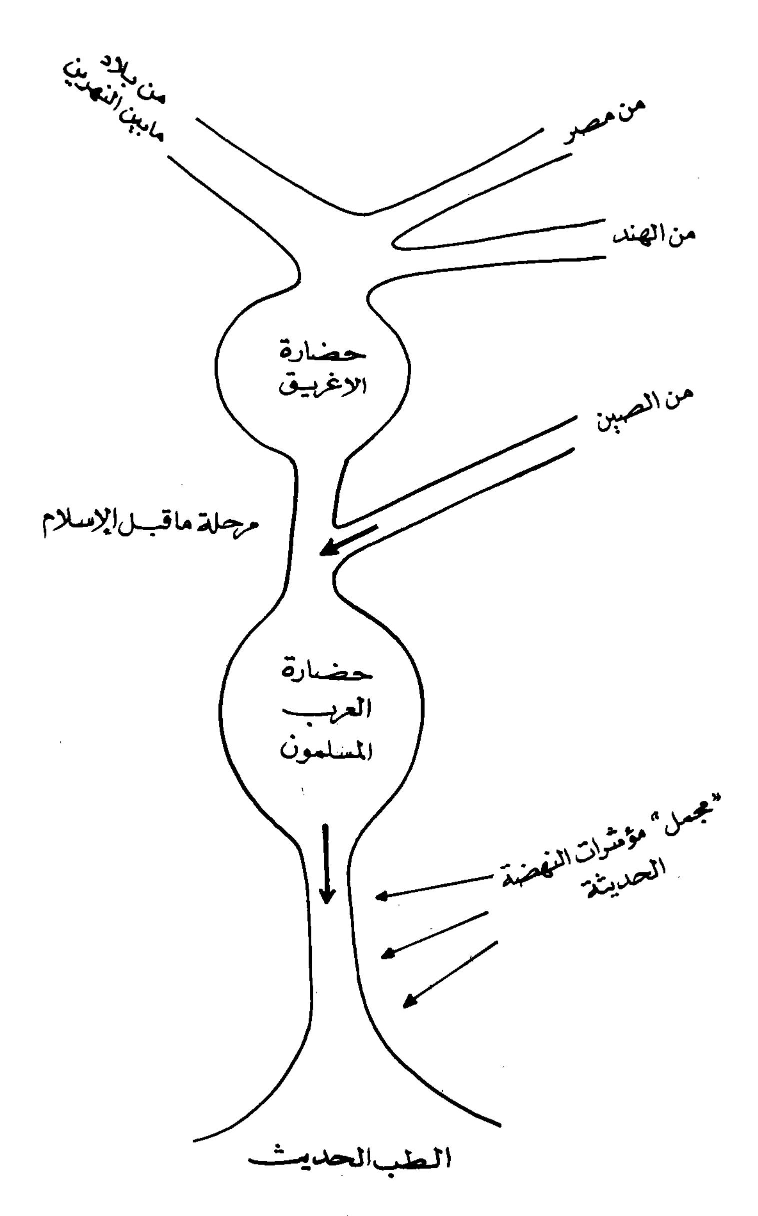
أو التغيير الذي طرأ على الحياة اليونانية فأقرها في المدن والقري ونظم لها الحكومات وانواع السلطات . . . وجعلها حاضرة بعد ان كانت بادية . . . واخذوا بحكم الزراعة والتجارة والصناعة . . نشأت بعدها خصومات بين الأفراد والأسر على المنافع . . وهذه بدورها قد أدت الي الفهم والادارك والعقلية الاجتماعية .

٢ ـ السبب الثاني :

تلك المجموعات التي استقرت في الأرض وتحضرت بعد بداوة . . بدأت تجني ثمرات الحضارة الحلوة فضاقت بها الأرض . . واشتدت الخصومات ووقعت الحروب في الداخل والخارج . . واضطرت بسبب هذه الأمور إلى ضروب من المهاجرة والضرب في الأرض الواسعة . . . فاستعمرت بلادا بعيدا . . . في أقطار مختلفة . . ونحن نعرف مقدماً نتائج الاختلاط ما بين الشعوب المتخلفة ، ومدي أثرها على تلك المجتمعات الناشئة الجديدة .

٣ــوتنبه العقل اليوناني بحكم هذه المؤشرات. . .وبدأ يفهم الحياة على نحو جديد لم يكن مألوفاً لديه من قبل . . . فكان رقي العقل مصاحباً لرقي السياسة والاقتصاد... ولم تعد أمة اليونان في حياتها في القرن السابع قبل الميلاد . . . كما كانت في القرن العاشر قبل الميلاد . . . إذ بينما كانت الحياة السياسة في العصور الأولى (ملكية خاصة) تعتمد على سلطان الآله والكهنة . . . إذا بها تصبح في هذا العصر ارستقراطية ينتقل فيها (الحكم) من الملك الذي يمثل الاله . . . إلى النبلاء والاشراف والاسر العريقة كما سوف نرى .

٤ ــ اذن فقد اتضحت الصورة . . صورة الموقف المتطور . . . واتضحت معه معالم الطريق . . . انها جماعات



ممرات الحضارة كما تصورها المؤرخ « رالف ميجور »

المصلحين والمفكرين . . . وان اختلفوا في المبادىء . . إلا أنهم أوجدوا للحياة حقائق . . . حقائق اجتماعية ظهرت إلى العالم لأول مرة . . . وكانت السبل ممهّدة لقبولها (لاستعداد ذاتي) كما قلنا . . . وقد سبق وذكرنا طرفـــا عن هذا الموضوع .

ترى ما هي تلك الحقائق ؟

سوف لا أثقل على القارىء الكريم بما ينفرّ السمع أو يكدّر النظر . . . وسوف لا اذكر الا أشياء (يسيره) جدا مما أورده التاريخ . . . وموجزاً جداً عما جاء به الباحثون . . في فارس . . . وفي الهند . . وفي الصين وما خلفته تلك الحضارات من آثار على الحياة البشرية آنذاك .

المجتمع الصيني (في تلك القرون المعاصرة) :

كان مصنفاً الى طبقات . وحسب (نوع الخدمة) التى تقدمها كل فئة للمجتمع .

١ — الزارع ومنتج الحبوب .
٢ — زارع الحدائق والخضروات .
٣ — الحطابون ومن يعمل في الغابات .
٤ — اصحاب تربية المواشي والدواجن .
٥ — النجارون .
٦ — الزوجات (ناسجات) الحرير وصانعات الملابس.

٧ – الخـــدم .
٨ – المتشردون .

أما مبدأ (كونفوسيوش وقد عاش في القرن السادس ق. م) . . فنورده موجزا (وهو مثلُنا للمجتمع الصيني). وأركانه هي :

أ – السماء . . هي القوة العليا . . . وهي التي تشرع القوانين .

ب – الحكومة . . هي الوسيط . . . وهي التي تتلقي تلك التشريعات .

ج – الشعب . . هو الطبقة السفلى . . وعليه تطبيق تلك التشريعات .

د – طبقة (المتعلمين) وهي التي من واجبها (صيانة تلك القوانين من الخلل والزلل) . . ومهمة تلك الطبقة ذات وجهين أثنين .

الوجه الأول : مراقبة الحكومة وعدم خروجها عن الطريق القويم .

الوجه الثاني : جهادها مع باقي الطبقات للحصول على على العلم والحكمة وعلى الصحة والسعادة .

وأما التعاليم الإصلاحية فهى :

١ ـ أن يمجد الانسان الجود بلا إسراف . . . وأن يعمل بدون تذمر . وأن يحقق رغبته بدون جشع . . وان يسعي للفضيلة . . . ولا يتكبر عليها . . وأن يصل إلى الهيبة وعزة النفس بدون عنف .

٢ ـ وأن يتجنب الإنسان العسف والجور . . وأن يكون هادئا وحكيماً . والا يسيء إلى الآخرين . . . وأن يعطي كل أجير أجره بلا تأخير .

المجتمع الفارسي (في تلك القرون المعاصرة) :

وَمثَلُنا لذاك المجتمع هو (زرادشت) . . . ومبدأ عقيدته الاصلاحيه يقوم على عدة اركان اساسية (أجتماعية).

١ ـ أعبد الاها واحداً .
٢ ـ مجد الملائكة .
٣ ـ العن الشياطين .
٤ ـ تزوج أقرب قريباتك .
٥ ـ القلب الخاشع . . . والوجدان التائب . . هما أحسن قربان يقدم إلى الآله بدلا من الشعائر والطقوس الكهنوتية .

والمجتمع الهندي (في تلك القرون المعاصرة) :

وَمَثلُنا لذاك المجتمع هو (بوذا) . . . ومبدأه الاصلاحي واضح من هذا الدعاء . . . (البحث عن أسرار الحياة بالزهد والعباده) .

١ – فليجف جلدي .
وتضمر عضلاتى .
ويهن العظم مني .

قد يجف اللحم في بدني . . . ويجمد الدم في عروقي.
ولكني سوف لا أبرح مجلسي . . . قبل أن أحيط بأسرار الحياة :

٢ – أكسب حياتك وسعادتك بالاعتقاد القوي الصحيح . . . وبالقول الصحيح . . . وبالفعل الصحيح . . وبالذاكرة الصحيحة . . . وبالتأمل الصحيح . . . وبوسيلة العيش الصحيحة .

نشاة المجتمع اليوناني

عن هذا المجتمع الناشيء وكيف تطور من حال إلى حال . . سوف استعين بمن هم أقدر مني على التصوير والتعبير . . . وكما ذكرت في الجزء الأول من هذا الموجز . انا ممن يستعينون بكل الطرائق والوسائل والسبل والمراجع لاظهار الامور بشكل واضح . . . لا أدعي ابدا ولا أحاول الأدعاء . . . فأنا ممن يطمعون بتقديم الفائدة مجردة من الشكر والتمجيد . . . وخالية من ضعف وجدانى ما أمكن ذلك . . . واستميح القارىء الكريم ان يكون كريماً معى في تقبل ما رأيت . . بل وأن يكون سمحاً في قبول تعليقاتى على آراء الآخرين . . . وسف أبدأ باستاذنا العقاد رحمه الله حيث يقول :—

أولا . . . وحسبنا أننا سنعرض في هذه الفصول لتاريخ حضارة بعينها . . . بل لتاريخ العقل الإنسانى . . . ومـــا أعترضته من ضروب التصور . . . وألوان الاستحالة والرقي . . . انتهي بنا إلى حيث نحن عليه الآن .

ثانياً . . . ان الرأى المقرر عند أولئك الذين يعنون

بتاريخ (الأداب) والاراء والتشريعات على اختلافها وتباين فنونها ومنازعها . . . ما هي الا ظواهر اجتماعية أكثر منها ظواهر فردية ... أى انها اثر من اثار الجماعة والبيئة أكثر منها اثرا من آثار الفرد ... فليس من الحق في شيء أذن أن ننسي الجماعة كموثر أول في ظهور الآداب والتشريعات والاراء والفلسفة . . . وليس من البحث العلمي القيم في شيء . . أن نعتبر الفن (كماً) مهملا في نفس الوقت . . . فلسنا نجهل بأن الفرد لم ينشيء نفسه منفرداً . . وليس من سبيل إلى تصوره مستقلا بذاته . . . وانما هو في وجوده المادي والمعنوي أثر اجتماعى . . . وظاهرة من ظواهر المجتمع لا يثبت وجودها الا إذا تعاونت الظاهرتان على تربية الجسم والعقل والشعور والعواطف الروحية . . . وقل مثل هذا في الاخلاق والنظم الاجتماعية والسياسية . . . بل وقل مثله في جميع الأوضاع والآداب والتشريعات .

ثالثاً . . . تري بأي من هؤلاء المفكرين والفلاسفة نريد ان نبدأ ؟ . هم أكثر من عشره . . . بل هم أكثر من مائة. بل أحسب أن العدد لا يكاد يحصيهم . . . بل أزعم اننا نجهل منهم أفراداً كثيرين . . فكم من مفكر وكم من فيلسوف كان له الأثر الاعظم في ترقية بيئة وتهيئتها للتطور ولكن الزمان (محا) شخصيته محواً . . . وأخفاها عن الاجيال . . . فلم يعرف الناس من أمره قليلا أو كثيراً . .

وانما استمتعوا باثارة واستنفعوا بأرائه وهم يجهلونه .

رابعاً . . . فكر معي في تاريخ اليونان . . . وفكر معي في تاريخ العرب علام كانت تقوم الحياة اليونانية في بداوة اليونان ؟ ..

وعلام كانت تقوم الحياة العربية في بداوة العرب ؟.

أ – نستطيع أن نقول على (الشعر) وحده . . . فالعرب واليونانيون يتشابهون من هذه الجهة تشابها كاملا .

ب – تستطيع أن تبحث عن فلاسفتهم وحكمائهم وقادتهم وساستهم ومديرىأمورهم الاجتماعية أيام البداوة . . . فلا تجد الا (الشعر) .

ج – ثم تستطيع أن تبحث عن فلسفتهم ودينهم ونظمهم المختلفة وحياة عقولهم وعواطفهم فلا تجدها إلا في (الشعر) .

الشعر إذن هو أول مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية القوية لهاتين الامتين . ونستطيع ان نقول في غير حرج . . ان الشعر هو أول مظهر من مظاهر الحياة القوية لكل الامم المتحضرة التي عرفها التاريخ . . . ولكن هناك فرقا عظيما بين بداوة العرب وبداوة اليونان .

أ ـ فبداوة العرب قد أثرت في العرب والامبراطور الإسلامية فيما بعد ..

ب ـ أما بداوة اليونان فقد اثرت في اليونان . . . والرومان . . . والعرب ثم أثرت في الانسانية القديمة والمتوسطة . . . كما لا تزال تؤثر في الانسانية الحديثة كذلك (ولا تعليق لنا على هذا القول من العقاد رحمه الله إلا أن نقول بأن كل هذه الامور . . . أو كل ما ذكر من أثر لم يظهر تلقائياً في ممرات التاريخ لولا العرب والامبرطورية الإسلامية) .

خامساً . . . ويتساءل العقاد (رحمه الله) بقوله . . . وهل كانت توجد الحضارة اليونانية التي أنشأت سقراط وارسطو ؟ والتي أنشأت ابقراط وسوفوكليس ؟ . . وفيدياس وبيركليس ؟ . . لو لم توجد البداوة اليونانية ؟.

تحليل جميل ... وشهادة منطقية ومعقولة . . وسوف لا يكون لها أثر فعال على الباحثين والمؤرخين فحسب . . . وانما على طلاب الحقيقة أيضاً . . . فالحقيقة هي سجل المواهب في كل مكان . . . وخصوصاً من الناحية العلمية.. فالعلم موهبة وان ادعاها كثيرون .. والعلم استعداد شخصي لا يباع ولا يشتري . . . قد يأخذ وقتاً طويلا وان كان

صامتاً . . . وقد يأخذ جهدا مضنيا وان كان خفياً . . لا يعلن عنه الا بعد اكتمال جوانبه . . فاذا كانت مفيدة للحياة والاحياء عاشت مع الحياة إلى الأبد . . . وان كانت ضارة فجزاؤها من نفس عملها تماماً .

الصورة المقربة للاستحالة :

المرحلة الأولى . . .

يقول العقاد (رحمة الله) في تعبير رائع وتصوير دقيق . . (تصور جماعة من الناس لا يقراءون ولا يكتبون ولا يختلفون الى مدرسة . . . ولا يستمعون إلى فيلسوف. . ولا يطمحون إلى حياتهم إلى أكثر من الأكل والشرب والأمن والدعة . . . هذه الجماعة التى تعيش هذه العيشة الخشنة . . تجدها في بلاد اليونان قديماً . . . وفي بلاد العرب قبـــل الامبراطورية الإسلامية . . . تصورها وقد اقبل عليها في يوم من الأيام رجل في يده أداة موسيقية تشبه الربابة . . فأخذ يلحن على أداته . . . وأضاف إلى الحانه غناء أخذ ينشده . . . فغني الناس به وشجعوه . . . وأغرق الناس في الاستماع اليه والاعجاب به . . . فأذاهم معلقون بشفتيه وقد أحيا عواطفهم . . . وغذا عقولهم. . . ثم تركهم وانتقل إلى جماعة أخري . . . وشجعــه منهم مالقيه من الجماعة الأولى . . . تصور تلك الجماعات وأولئك الشعراء المغنيين..

وحدد لنفسك صورة مقربة للحياة اليونانية وتأثير الشعر عليها في أيام البداوة . . . تصورهم أقواما ليس لهم دين منظم ولا أدب مدون . . . ولا علم ولا فلسفة ولا سياسة .. وانما الشعراء يحملون اليهم من هذا كله) . . ثم تصور هذا (مع الألياذة والأوديسا) وحياة اليونان الأولى . . فماذا تجد ؟! .

المرحلة الثانية . . .

وتحضرت تلك الجماعات ... والتمست آدابها وفلسفتها ونظمها ومصادر أخرى غير تلك الاناشيد . . . وأخذت تستظهرها وتربيها فتحرص عليها كل الحرص . . . وبالغت في ذلك حتي عينت حكوماتها المنظمة بتدوينها . . وظهر في الأمة شعراء آخرون . . . عدلوا عن القصص والغناء إلى التمثيل في الملاعب . . . فلم يبتكروا قصصهم ابتكارا وانما التمسوا أكثرها في الشعر القصصى القديم . . . فهو مستودع (المثل العليا) في السلوك والأخلاق . . . وفي الحياة الانسانية الساذجه البريئة من الفساد ؛

المرحلة الثالثة . . .

وبشيء من الايجاز . . (تبين كيف انتقلت قيادة الفكر من الشعراء والجواله . . . إلى طائفة أخرى . . هي طائفة الفلاسفة . . . وكيف استطاع هؤلاء الفلاسفة أن

أن يقودوا الفكر ويديروه) . . وكيف اتخذ أولئك الفلاسفة طريق القيادة للفكر والتطور : —

أ — وفي الحق . . ان قيادة الفكر لم تنتقل من الشعراء إلى الفلاسفة في يوم وليلة . . . ولا في عام أو أعوام . . . وانما احتاجت إلى القرون الطوال . واحتاجت إلى أشياء كثيرة نستطيع أن نختصرها في كلمة صغيرة تدل على معان كبيرة . . هي (التطور) .

ب — ان الفرق بين الشعراء والفلاسفة عظيم . . . لأن الفلسفة تعتمد على الخيال . . . ولا تعتز به . . وانما هي مظهر للحياة العقلية القوية . . . وهي وسيلة الانسان إلى أن يتصور الحقائق ، ويحكم عليها الاحكام التى تلائم طبائعها . . . أو قل أنها الوسيلة لأنْ يتصور الإنسان (الحقائق) ويحكم عليها بعقله لا بخياله ولا بجسمه أو شعوره .

ج — وتعتمد الفلسفة على النقد . . . ويعتمد الشعر على التصديق . وتصور تلك الشعوب الأولى . . وهي ترهب كل شيء . . — وتتأثر بكل شيء. ترى في كل شيء الاهاً تخافه وتتملقه

وترضاه . . . تراه في الهواء . . . وفي الماء وفي الأرض والسماء . . . بل تراه في الاحجار . . والحشرات والاشجار . . . والوان النبات والأنهار . . . وآلهةتقدم اليها الصلوات وضروب القربان . . . وتتخذ من هذا الاكبار والاجلال قواعدها الخلقية والسياسية والاجتماعية) . . . ثم تصور تلك الشعوب وقد تغيرت واستحالت . فماذا ترى ؟!

د – فصارت لا ترهب الأشياء (ولا تخافها) . . بل تحاول اخضاعها وتذليلها واستخدامها . . فهي لا تري في الهواء الاهاً . . وانما هي تحاول أن تفهم الهواء . . . وان تستخدمه في حاجتها ومنافعها . . . وعلى الجملة هي لا تعبد الأشياء . وانما (تستذلها وتستخدمها) . . تصور تلك الشعوب في هاتين الحالتين لتشعر بالفرق العظيم بين هذين العنصرين الذين يسيطر الشعراء في احدهما على الحياة . . وتسيطر الفلسفة في الآخر عليها . . . ثم تشعر بذاك الزمن الطويل الذي يجب أن تقضيه لتنتقل من احدى هاتين الحياتين إلى الأخرى .

هـ ــ ونحن إذا سألنا التاريخ عن مقدار القرون التي قضتها الأمة اليونانية لتسبدل العقل بدلا من الخيال . . . والفلسفة بدلا من الشعر . . أنبأنا بأن هذه القرون ليست أقل من خمسة .

و ــ لقد كان لسلطان الشعر القصصي سيطرة على الحياة الاغريقية سيطرة كاملة في القرن الحادي عشر قبل الميلاد . . . ثم أخذ العقل اليوناني ينمو ويسيطر قليلا قليلا على الحياة بجميع مناحيها . . . والغريب أن سيطرته تلك لم تأخذ مظهراً فلسفياً في البداية . . . وانما احتفظت بالصورة الشعرية التي صورناها . . . واخذنا نجد في الشعر القصصي ذلك . . . ضروبا من (الفهم والحس) . أو محاولة للفهم والوانا من الحكم أو محاولة للتحكم والتمييز . . . ما كنا نجدها فيه من قبل . . . ومعني هذا ان العقل قد بدأ (يختلس) سبيله إلى الحياة اختلاسا . . . ويسلكها شيئاً فشيئاً دون ان يشعر بذلك أو أن يلتفتوا اليه .

ز ــ وكان سلطان الشعر (التعليمي) منبسطاً على الأمة اليونانية في القرن الثامن قبل الميلاد ..

ولك أن تأخذ مثلا من الشاعر اليوناني (هسيودس) في قصيدته الطويلة (الاعمال والأيام) . .
تجد فيها ضروبا من الادب . . . وألوانا من العلم مختلفة . . . تجد فيها الأخلاق مرتبـــة ومنظمة . . . يستدل استدلا لا . . . وما كان فلسفياً كسقراط . . . بل فيه حظ من التفكير والتأمل وتجربة الحياة . . . نستدل بها من عنوان تلك القصيدة . . . وكان فيها نصيب من الخيال عظيم . . وفيها جانب من الأخلاق . وضروبا من التعليم (العلمي) يمس الزراعة وفصولها وحاجاتها ونظمها ... وما كانت تخلو من التعليم الديني الذي يصف الآلهة واخلاقها . . . واصنا ف الصلة بينهما وبين الناس . . . يدرك المتأمل فيها ذلك التغيير المتدرج . . . وتلك الاستحالة من طور إلى طور . . . من غير شك لم يكن هو الماضي . . وفي نفس الوقت لم يكن هو المستقبل . . . بل كان (هو الواقع) . . واقع المجتمع في تلك المرحلة من التاريخ . . . سياسيا ودينيا : . وعسكرياً . . . وأدبياً وصحياً وعلمياً .

تطور العقلية اليونانية :

يذكر الاستاذ العقاد (رحمه الله) . . . عن الحياة الاجتماعية في أثينا على الاخص .. انها تأثرت بثلاثة أمور :-

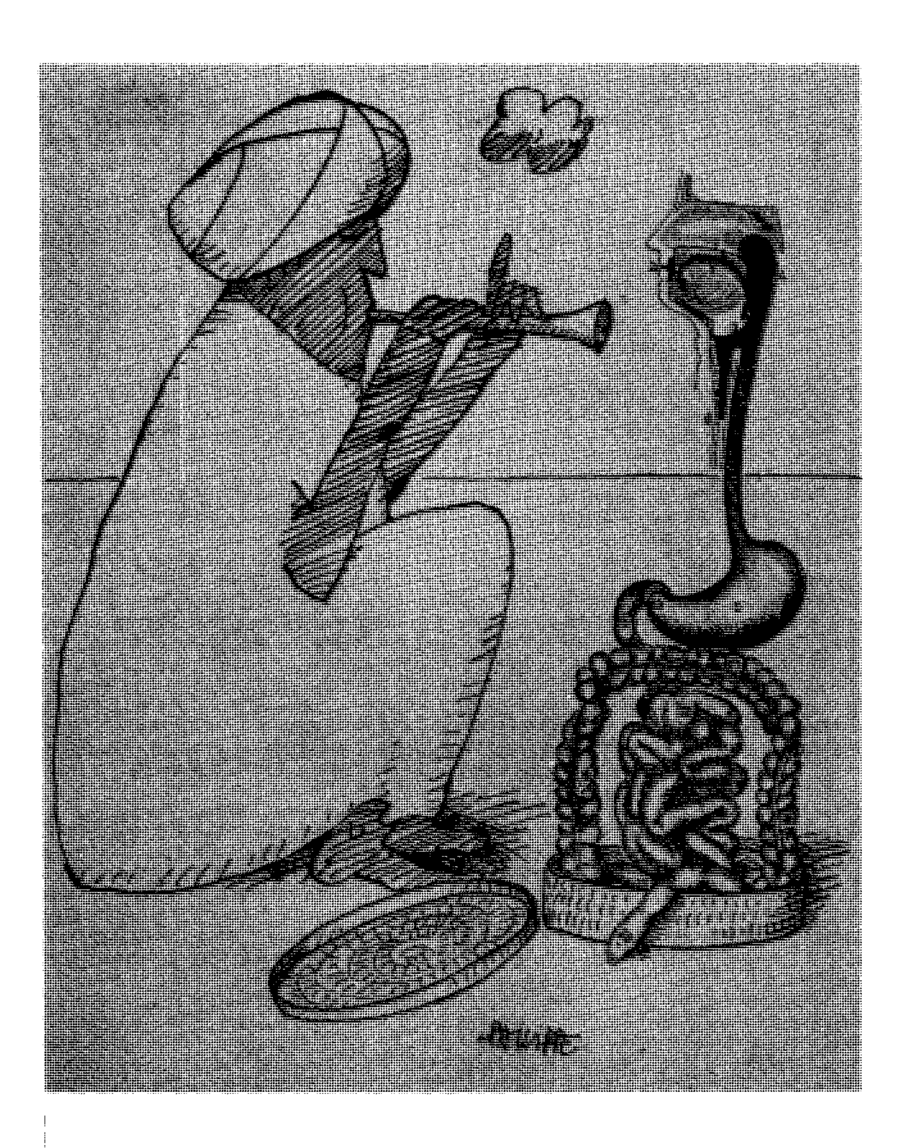
أحدهما . . . النظام الديمقراطي المتطرف الذي يخدم حرية الفرد الجديد ويجعل شخصيته بارزه ترتفع إلى مستوى الدولة .

والثاني . . . ذلك الاختلاط الشديد بين الشعوب المختلفة والمتباينة . . . الذي أدى بدوره إلى ردود فعل عملية . . الاقتباس الفعلى من تلك الشعوب . . والعقلية القوية الجديدة التي بدأت مضطربة .

والثالث . . . افلاس المذاهب الفلسفية (الأولى) . . . إذ وصل العقل اليوناني في تلك الفترة . . . إلى حال من الشك لم يألفها من قبل . . . شك في كل شيء يدور حوله :-

أ - شك في الفلسفة الأولى التي عجزت عن تفسير الكون .

ب - وشك في المعابد والارباب التي وزعت إلى درجة أثارت الشك بين الناس .



استطلاع اسرار جسم الأنســـان

ج – وشك في الحياة السياسية التي عبثت بها الحروب
والثورات والأهواء السخيفة ... فأصبح
ممزقاً بلا قيادة ولا هوية سياسية ثابتة .

د – أخذت تنكر كل شيء ... ولا تعترف الا
بالمنفعة وكسب المال

وفي هذا الجو الغريب المتبلد بغيوم الشك والنكران . .
نشأت فلسفات السفسطائين . . كان زعماؤها يطوفون
الأرض ... ويحملون الشك إلى كل مكان . . يعلمون
الفرد كيف يلبس الحق بالباطل ... وكيف يعبث بعقول
القضاء والحكام والمجالس السياسية ... ظهرت على أثرها
فلسفات عنيدة مضادة ... بدأت بحكماء وفلاسفة سوف
نمر بهم في سياق هذا الكلام ... ولكن قبل أن ندخل معهم
في تحليل أو تركيب ... سندخل مع الحكماء والفلاسفة
والمفكرين إلى مراحلهم الفكرية دخول الحذر المتأمل ...
القصد من ذلك هو (حسن التصوير وحسن التعبير) .
... فتطور العقل اليوناني لا يعني ابدا أن حضارات الشرق
كانت تخلو من العقل والحكمة والفكر ... وقد جاء ذكر
هذا في كلامنا عن مراحل التطور التاريخي (في الجزء
الأول) من هذا الموجز... واليك بعضاً مما كان (خليطاً)
أو مزاجاً من الروابط والمواقف ما بين الشعوب والامم ..

وصورة مصغرة جدا عما كان عليه واقع الحال آنذاك . .
أنظر الصورة رقم (٤) .

١ ـ فلقد جاء ذكر الفينقيين (مثلا) في مصادر متعددة من الادب اليوناني . . . مثل هوميروس وغيره . . وأن أسطورة الأله (قدموس) يعود أصلها شرقياً . . . وهو الذي يذكر عنه (بأنه قد أدخل) حروف الهجاء إلى (أتيكا) وعلمها إلى السكان .

٢ ـ وأن الملك (كيناريس) ملك التعدين ومؤسس مدينة (سيلاميس) في قبرص كان فينقيا . . . ذكر ذلك هوميروس في أقواله .

٣ ـ وأن الادب اليونانى القديم هو الذي أخبر عن وصول الفينيقين في رحلاتهم البحرية إلى جزر القصدير (بريطانيا) حالياً .

٤ ـ وبمثل ما كان اليونانيون ينعتون هؤلاء الغرباء والأجانب بالخصال الطيبة كانوا يتهمونهم بالبربرية واللصوصية والاختطاف . . وقد جاء ذكر مثل هذه الاتهامات في المسرحيات اليونانية (الصبايا الفينقيات) مثلا .

٥ ـ وقد ذكر اليونانيون عن مهارات الفينقيين في

صناعة السفن وفتح الأنفاق في الجبال وصناعات الجسور المعلقة والعائمة .

٦ — وأن حفريات (أوغاريت) في بلاد الشام القديمة قد أشارت إلى وجود جاليات أجنبية متعددة . . . ومنها جاليات يونانية هناك كانت تدعي (الكفيتو) .

٧ — وان العلاقات التجارية والاقتصادية والثقافية كانت مقدمة على العلاقات السياسية والعسكرية مع كل الشعوب والأمم البعيدة أو المجاورة . . . ومنها بلاد مصر التي كانت تستورد من اليونان (الخشب وزيت الزيتون والمصنوعات الأرجوانية) . . وهي رمز الكهنة في المعابد . . وان مصر (بالمقابل) كانت تصدر إلى بلاد اليونان (العاج والصوف والكتان وورق البردى) .

٨ — ويشير الادب والتاريخ اليوناني إلى وجود جمعيات سرية تأسست على أساس (خلود النفس) وخلاصها من الشرور بواسطة العبادات والشعائر الدينية . . . مثل (جمعية ديونيس والجمعية الأورفية) .

٩ — وان لتلك الجمعيات شعائر وطقوس معينة (أغلبها مستمد من الشعوب والأمم الشرقية) . . . وان لها اعيادا ومهرجانات سنوية ، وطواف حول الاسوار .

١٠ – وان الهة الخصب والجمال عند الشرقيين (عشتار) لها ما يماثلها عند اليونان (أفروديت) وعند الرومان (فينوس) .

١١ – وان الشاعر اليوناني (هزيود) يشير إلى اقتباساته عن المؤرخ الفينيقي (سانخو نياش) . . . وان ملحمة (مولد الاله) عنده لا تختلف ابدا عن ملحمة الخليفة البابلية (أينوما – أيليشن) .

١٢ – وان الهياكل والفنون اليونانية قد عبرت عن اقتباسها من الشرق بمشاهد للصيد وأشجار النخيل . . . وازهار اللوتس . . والحيوانات المجنحة . . . والقبور ذات القباب . . . والصياغات الحلزونية الخ .

١٣ – وان آلات الحرب كالمجانيق والمقاليع كانت من أصل فينيقي .

١٤ – وان الفيلسوف الضاحك (ديموقريطس) وكذلك افلاطون وزينون كلهم من أصل شرقي .

١٥ – وان الفرس في حروبهم مع اليونان كانوا يستعينون بالمهرة والمهندسين الفينقين في أعمال البر والبحر والجبال .

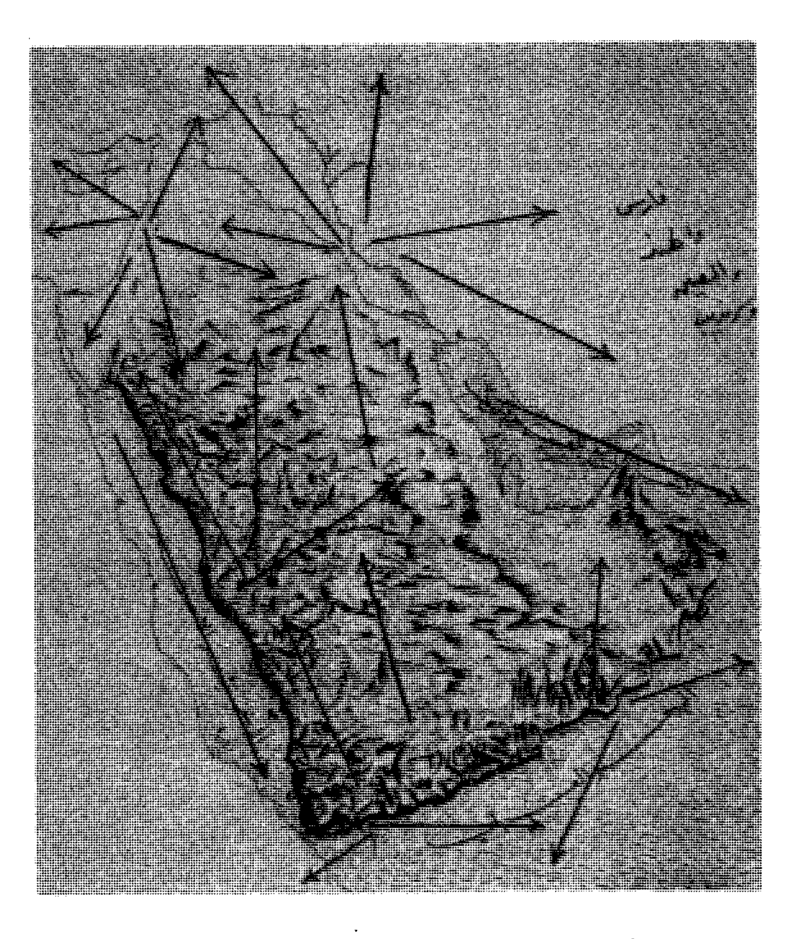
١٦ ــ وقد عثر على نقش يوناني يشير إلى أن (قانونا) أقره مجلس مدينة اثينا يعيد فيها العلاقة الودية بين (أثينا وصيدا) وبموجبه يتم أعفاء سلطات صيدا من الصرائب .

١٧ ــ وان (ديوجينس) الكلبي كان يدعو إلى الاستفادة من الطبعية الحرة والتأمل بها . . . ونبذ ماسواها من العادات والتقاليد القديمة . . . والتى ما هي الا أمور جاءت من الحضارات القديمة . . وقد جاء من بعده من استغل (القوي الكامنة) في الطبيعة باسلوب متطور وفكر مستنير .

١٨ ــ وأن الموسويين الذين هاجروا من أسر بابل وما جاورها من الأمم والشعوب . . . ومعهم مقتبسات من بلاد فارس ومبادىء زرادشت قد ساعدهم على (وضع التوراة) المنحرفة . . . ومعهم الأخبار التاريخية والحرفية . واخبار العلم والمعرفة التى زوروا أكثرها .

١٩ ــ ويذكر التاريخ عن الاسكندر الكبير حبه للعلم والعلماء والمعرفة . . . وأنه قد تسبب في احراق كتب المجوس ولكنه أبقي على (كتب الطب والفلك والفلسفة) بعد ان نقلها إلى اللغة اليونانية .

٢٠ ــ ونفس العمل قام به مع بلاد الهند . . . يقول عنه (هـ. ج ويلز) لقد خلق الاسكندر مجتمعا اختطلت فيه



الجزيرة العربية عند قدامي الجغرافيين العرب

فلسفة بوذا بفلسفة الأغريق . . . وعن طريق الهند انتقلت (آثار الاغريق) إلى بلاد الصين .

٢١ – من تلك الروابط والعلائق كلها . . . السلمية والتجارية والعقائديه والفكرية . . . ظهرت (نظرة جديدة) إلى كل شيء في هذا الوجود .

أ – نظرة إلى الانسان في حياته وبعد موته .

ب – نظرة إلى الكون ومدى علاقته بالانسان .

جـ – نظرة إلى الفوائد التي من أجلها وجد الانسان .

د – ونظرة إلى الاضرارالتي تحول دون هذه الفوائد.

٢٢ – وبديهي أن يظهر من كل ما فات . . فئات مختلفة . . . وطبقات متباينة . . . كل واحد منها ينظر إلى هذا الكون على أنه (هو) . . . وإلى هذه الحياة على أنها (رغباته وشهواته) . . . فانقسموا إلى متحكمين ومحكومين ومن هم (بين وبين) .

٢٣ – وعليه فقد تحولت فلسفة الحياة القديمة من حاكم فرد وكاهن فرد (وعوام) . . . إلى حاكم يعمل حساب الجماعة . . . وكاهن يعمل حساب المجتمع . . . ومجتمع ينظر إلى العدل والسلطة والآلهة بمنظار جماعي

جديد . . . ورأي جديد لا بد من أن نقول أننا أمام (مولود جديد) من الإنسان . . . يختلف عن أبائه واجداده . . . يبحث عن نفسه هو . . . وعن حياته هو . . . وعن كونه هو . . . وبديهي ان نقول بأن هذا المولود الجديد له (مواصفات وسمات وهواجس جديدة في كل شيء) وان ارتبط بالماضي . . . إلا أنه يختلف عن الماضي بأمور مستجدة (مثل) .

أولا — نوعية التفكير . . . سواء عنده . . . أو عند عامة الناس . . . أو عند الحكم . . . أو عند الكاهن . . . المهم أنه بدأ يحلل الظواهر الطبيعية التي تدور حوله . . . وما علاقتها فيه . . . وما علاقته فيها .

ثانياً — ونوعية المواقف الاجتماعية ما بين الفرد العادى من جهة . . . وما بين صاحب السلطة الدينية أو السلطة الدنيوية . . . ولماذا بدأت تأخذ طابع التمييز والتفريق. وهو أقرب شيء إلى ما ندعوه بالاختصاص في هذه الأيام ؟!

ثالثاً — ونوعية (الوسيط أو الوسطاء) الذين توسطوا بينه وبين الماضي ومعتقدات الماضي . . . ظهروا بمظهر جديد . . . ومفاهيم جديدة . . . أعطوها مسميات جديدة وعبارات جديدة . . . لا تلاحظ فقط . . . ولا تحلل فقط. وانما تلاحظ وتحلل وتقارن في وقت واحد . . . تارة

بالحكماء . . . وتارة بالمصلحين . . وتارة بالفلاسفة .

رابعاً – إذن فقد بدأ حمل الحياة يثقل على كاهله . . وبدأت أعباء الكون تنهال عليه من كل مكان . . . فلا غرابة إذا ما وجد (جسمه مثقلا) . . . ووجد (عقله مثقلا) . . . ووجد (نفسه مثقلة) أيضاً . . . ولكنه لا يملك العبارات المؤثرة . . . فتطور الوضع واستحالت الأمور إلى أوضاع متشعبة ومتفرغة . . . عليه ان يتحمل مسؤوليتها كلها . . . لأنه جزء منها . . . ولأنه هو الذي بحث عنها . . ولا مفر له عنها .

يقول الأستاذ العقاد رحمه الله : (ان الروايات والأخبار والأساطير القديمة . . . يعود أكثرها إلى جهل الأوائل بوظائف اعضاء البدن ... وجهلهم بأمورالوراثة واسرارها. فجاءت الزراعة والكيمياء والطب والفكر فكان لها الفضل الاول في التفريق والتمييز ما بين شؤونه وشؤون حياته المختلفة . . . في أطوارها المختلفة) .

ويقول في مكان آخر . . .

(فأنت تعلم انه بينما كانت الأمة اليونانية خاضعة لسلطان الشعر القصصي الذي يمثلها ساذجة جاهلة . . . وقليلة الحظ من النظم السياسية والاجتماعية الراقية . . .

كانت الأمم والشعوب في بابل وآشور وغيرها قد بسطوا سلطانا ضخماً واسعاً . . . وأسسوا حكومات قوية . . . انتهوا بها إلى الوان من الفن والعلم لا تزال تبهرنا إلى الآن . . . وكانت أمة اليونان من الجانب المقابل ليست جامدة أمام ذلك الجميل وانما كانت شديدة الاعتّراف به . . . وربما بالغت فيه مبالغة شديدة . . . فنسبت كثيراً من الأشياء إلى الشرقيين . . . بل نسبت مدنا مختلفة إلى الفينيقين حينا . . . وإلى المصريين حينا آخر) .

فإذا قارنا مثلا (بعضاً) مما جاءت به تلك الصراعات النفسية . . . وتلك الاحاسيس المتباينة . . . نجد امامنا فجأة عدة أمور في الإنسان تحتاج إلى بحث وتدقيق . . . وعدة أمور في الكون تحتاج إلى بحث وتدقيق ثم تساءلنا من الذي جاء بهذه الأعماق في المواقف ؟ . . ومن الذي أوجد هذا الاتساع في الافاق والمفاهيم ؟ . . . فسنحصل بدون شك على اجابة شافية نوجزها في كلمتين اثنتين ـ:

١ ـ الأنسان الأغريقي الذي لم يعد ذلك الفرد البشري الساذج . وتطور العقلية الاجتماعية عنده .

٢ ـ ثم المقتبسات المختلفة الاشكال والألوان لا من الأمم المجاورة فحسب وانما من غير المجاورة أيضاً . . . ساعدته وهو طائع على الخروج (بذلك الاستعداد الذاتي)

الذي حوله أو طوره من السذاجة إلى العقل والمشاعر والاحاسيس ومن الجهل إلى العلم والمعرفة .

وأحسن صورة نصورها لتلك المراحل ... مراحل

الصراعات النفسية والعقلية والاجتماعية ... تضارب الاراء والافكار والنظريات ... التي استقرت بشكل واضح وجميل ... وان كان بدائياً ... إلا أنه بالنسبة إلى تلك القرون من التاريخ ... كانت خطوة جبارة نحو التقدم والتطور لا يختلف فيها اثنان .

أولا — بدأوا يحللون ما هي النفس بشرية ذاتها .. وما هي القوي الكامنة فيها ؟

ثانياً — بدأوا يبحثون عن حقيقة (الروح) وحيوية الأنسان ... وما هو عملها ؟

ثالثاً — وبدأوا يشرحون الجسد ليفهموا منه وظائف أعضائه وتوزيعها .

رابعاً — وبديهي ان يستمدو من (المحيط والبيئة والنبات والنجوم) ما يوصلهم إلى كل هده التساؤلات .

خامساً — وكأنهم قد توصلوا إلى (موضوع التكامل)

ما بين هذه الأمور كلها . . . ولكن بشكل غامض يحتاج إلى بذل جهد واسع . . . وتفكير ضخم . . ودراسات مكثفة . . . حتى يستدلوا منها على صحة آرائهم وحقائق افكارهم بالدليل والبرهان . . .

وقد تمّ ذلك بالفعل ولكن بشكل (مبدئي) متدرج ومتطور . . . انتهي بها الحال إلى تصور افلاطون لتلك الحيوية البشرية الكامنة على انها (ثلاث قويً) :—

١ — القوة العاقلة التي تنتقل من المحسوس إلى المعلوم (ومستقرها الرأس) .
٢ — القوة الغاضبة التي تدافع عن الحياة وتحميها (ومستقرها الصدر) .

٣ — وقوة صيانة الجسم لديمومة الحياة (من رغبات وشهوات) ومستقرها . (البطن) .

ولكنها (كانت البداية) لتطور حيوي واقعي . . . وقفزات فكرية جديدة .

صورة مصغرة
عن واقع العقلية اليونانية آن ذاك

ليس من السهل تصور تلك العقلية في كلمات . . . فهناك جوانب متعددة تدخل في تكوين هذه الصوره . . وليس من السهل علينا استيفاءها في كلامنا الموجز هذا . . . فمن الأحسن والأسهل والأفضل ان نووجز الكلام عـــلى شكل من الأشكال . . . بحيث يكون فيه تصور القارىء الكريم هو المتحكم وهو الدليل :

أولا — . . . (أتوكليس) شخصية اسطورية أغريقية . . . جاء ذكرها في الياذة هوميروس . . . على أنه يمثل الذروة في الدهاء والسحر ... له ابن استطاع (بغنائه) أن يوقف الدم الذي كان يسيل من جرح (أليزيه) بعملية الغناء.

ثانياً — (أورفيه) شخصية أسطورية أغريقية يقال عنها انها (ابنة ملك) عظيم وصاحبة فن في الشعر والغناء . . وكانت لها قدرة خارقة على تسخير الحيوانات والنبات والحجر بغنائها وموسيقاها .

ثالثاً – وقبل ظهور الاله (ابولون) ظهوراً فعلياً . . كانت هناك فئات من نسوة (الأمازون) . . كن يمتلكن القدرة الخارقة للسيطرة على الرجال . . . فلما هزمهن الأله (أبولون) قدم تلك السلطة إلى الرجال بعد أن سلبها منهن . . ولكي يقدم النسوة صورة واضحة عن السخط وحب الانتقام . . . لجأن إلى اعمال السحر كافة (السرية منها والعلنية) في صراعهن من أجل استعادة تلك السلطة المسلوبة .

رابعاً – واسطورة اغريقية قديمة تقول . . . ان الأله « زيوس » خشي على (النوع البشري) من أن ينقرض في صراعه من الحيوانات المتوحشة . . . فأرسل (هرمس) يحمل العدالة والوقار . . . ولكنه وقع في حيرة من أمره عند التنفيذ : –

أ – هل يوزعها على أصحاب المواهب الفنية . . . وان يرتبط كل فنان بفنه ؟.

ب – أم يوزعها على أصخاب المهن والحرف (ومنهم صاحب الطب أن يكون حارساً وأميناً على صحة الناس ؟ . .).

جـ – أم يجعلها مشاعة للجميع بدون توزيع أو تصنيف ؟ . .

فأصدر (زيوس) أمره بأن يأخذ كل واحد من هؤلاء بنصيب . . . وأن يصدر تشريع على لسانه وبأمره . . . بأن كل من لا يملك نصيباً من الوقار والعدالة . . . فسوف يحكم عليه بالموت الأبدي منبوذاً .

خامساً - ويذكر التاريخ الاغريقي . . . ان جائحة اقتصادية قد اكتسحت بلاد اليونان . . . ذهبت بأراضي الفلاحين ومحاصيلها مقابل الرهونات والربا والديون . . . فعند ما عجز الفلاحون والملاك عن سداد الديون . . . تحولت أملاكهم إلى الدائنين . . . الأمر الذي تسبب في اثارة الخواطر والفوضي والاضطراب الاجتماعي فظهرت قبيادات وزعامات . . . وبدأت مشكلات الطبيعة تتحول إلى مشكلات (الانسان) في حياته الاقتصادية والتربوية والفكرية والصحية .

ومجرد النظر إلى تلك الاساطير نخرج باستنتاج (نفسي وفكري) كان موجودا ويضطرب في نفس الإنسان اليوناني وكان لابد ان يؤدي إلى حقائق عملية متطورة وجديدة .

أ -فنظرة الانسان الفردية إلى الآلهة لم تتغير .

ب - ولكن نظرته إلى (الطبيعة) بجميع فئاتها واصنافها قد تغيرت . .

جـ – إذن فقد استحال الانسان الساذج الفرد إلى ناحية الجماعة والتكامل .

د – وما دام قد استحال فلابد وان يكون هناك عدل وانصاف في نشر فوائد الحياة إلى الإنسان بالتساوي وبدون تمييز أو تفريق .

هـ – إذن فقد بدأ يفكر فيما ينفع وما يضر . . . ويميز بين الأشياء عن وعي وادراك .

و – إذن فهو في حاجة إلى قادة ومصحلين . . . يرشدونه ويعلمونه (ما هي المنفعة ، وأين طريقها) . . . وما هو الضرر وكيف نتجنبه ؟!

١ – فالمعلم . . . قائد العلم والمعرفة اصبح ضرورة حيوية .

٢ – والكاهن . . . قائد العبادة والعقيدة اصبح لا مفر منه . . .

٣ – والزعيم قائد السياسة والتجارة والجيش يحتمه وجود الأمة وكيانها .

ز – ولكن لم ينفصل عن الماضي أنفصالاً تاماً . . . فكان دائم الألتفات . . . ودائم الرجوع . . .

ودائم المقارنة كما سوف نرى . . . فأثر
الحضارات السابقة لم يزل يؤثر في النفوس
والعقول والأفهام . . . وهمزات الألة الأشوري
(آبو) أله الذكاء . . : لازالت تحيط بهم من
كل جانب وصوب .

مجتمع الاغريق الجديد

مما فات شرحه وتفصيله ... يتحتم علينا أن نبدأ نظرة جديدة لعهد جديد من تاريخ أمة اليونان .

١ ـ اختفت أساطير وظهرت أساطير غيرها .

٢ ـ منها ما يمثل الواقع المحلي ... ومنها ما يمثل المقتبس .

٣ ـ واختفت أوثان وعبادات قديمة .

٤ ـ وظهرت عبادات ومعتقدات جديدة .

٥ ـ بدأت صراعات فكرية ثقافية ... تحولت فيما بعد إلى صراعات علمية واجتماعية .

٦ ـ وكلها لا تخرج عن الحدود التي حددناها فيما سبق .

٧ ـ وبدأت خلاصات (العلائق والأرتباطات) تطفو على السطح ما بين الشعوب والأمم آنذاك ... منها ما هو ديني ... ومنها ما هو سياسي ... ومنها ما هو

فكري وعلمي . . . ومنها ما هو انحراف وشعوذة وخرافة .

٨ — وزادت الأمراض والعلل . . . وتنوعت الآفات الفردية والاجتماعية .

٩ — وزاد ثقل الحمل على الحكماء والمتعلمين . . . ومنهم الأطباء والصيادلة .

١٠ — كانت القيادات فلسفية في بدايتها . . . ولكنها مهدت الطريق أمام اعمال واسعة . . . لتحليل وجود الكون الواسع . . . والاستفادة من وجود الانسان العويص المعقد .

يقول الأستاذ العقاد رحمه الله : (كانت الحياة الاجتماعية في أثينا على الأخص متأثرة بثلاثة أشياء مختلفة :
— أحدها النظام السياسي :

كان ديمقراطياً متطرفاً . . . يحترم حرية الفرد . . . فيجعل منه انسانا بارزا ربما تعاند مع الدولة .

— وثانيهما الاختلاط بين الشعوب المختلفة والمتباينة . كان مهمازا يهز الحياة الفكرية والنفسية (قولا وعملا) حتى يجعلها مضطرمة دائماً .

— وثالثها افلاس المذاهب الفلسفية الأولى . . . حيث وصل العقل اليوناني في تلك الفترة إلى حالات من الشك لم

يألفها من قبل . . . لاسيما وهو في حالة انتقال . . . وكان مجتمعهم السياسي متفرقاً إلى دويلات . . . ومناطق جغرافية يحددها (نوع العمل) ممثلا :

منطقة (بيوشيا) كانت منطقة زراعية . . . والنظرة فيها إلى مهنة الزراعة قد اصبحت (عالية المقام ، كبيرة المقدار) . . . بينما يقابلها في الطرف الثانى . . . احتقار لمهنتّي التجارة والصناعة . . . وكان الموقف يتطلب دعاية مركزة تحفظ للناس وإلى المنطقة صيتها وسمعتها . . . اضافة إلى المحافظة على شهرة ذلك المجتمع في تلك المنطقة .

أما في منطقة (طيبة الأغريقية) فكانت المجالس التشريعية من جانبها . . . محرمة على من يمتهن التجارة . . . كأجراء وقائي وحماية لتلك المنطقة من منافسات الآخرين أمام الحركة الأجتماعية المتوثبه .

واما منطقة (كورينتّي) فيعتبر العمل اليدوي والمهن الفنية من أشرف الاعمال . . . السبب في ذلك تركيب تلك المنطقة الجيولوجي والجغرافي الذي جعلها منطقة غير صالحة للزراعة . . . ولكن أهلها قد سلكوا من أجل حياتهم الاجتماعية ومعاشهم أسلوباً جديداً غير الزراعة والتجارة .

ورغم هذا فقد كانت لهم اعيادا (موسمية عامة)

تمثل المجتمعات المتفرقة والمختلفة . . . ومثلها أخري تمثل المجتمعات الموحدة . . . يرجعون فيها إلى الآلهة . . . ويسوقون القرابين يطردونها أو يطاردونها وكأنهم طردوا الشر من البلاد . . . أو عملوا من الوقاية والحماية ما يقيهم أخطار ذلك الشر وهلمّ جرا . . تمثّلها وقد طوّرت الفنون .

وأدخلت المزامير وآلات الطرب وانواع الغناء والموسيقي إلى تلك الأعياد . . . وتصورت الأفراح يبصور تمتلك واقع تلك المجتمعات (النفساني) كما تمثلت بعده أشكال وصور وألوان . . . تمثل واقع تلك المجتمعات الفكري والعقائدي . . . وإلى أي مدي كان الفرق موجوداً ما بين أساطير القدماء وأساطيرهم الجديدة . . . فأمتزج القديم بالجديد . . . وتسللت إلى نفوسهم وأفكارهم (هواجس جديدة) تتساءل عن شيء مفقود . . . أو عن أشياء بدأوا يشعرون انهم محرومون منها ... وتسللت مع هذه التساؤلات رغبات وشكوك . . . بدأت في مكان واحد ثم انتشرت. . . وبدأت من إنسان واحد ثم سيطرت حتي عمت . . . وظهرت إلى الوجود مظاهر اجتماعية جديدة . . . وشهوات فردية جديدة . . . كانت في يوم من الأيام حكرا على فئات معينة . . . وطبقات من المجتمع محدوده . . . دفعتهم إلى أن يفكروا ثم يميزوا ويرغبوا ويتحركوا للوصول إلى الفصل ما بين الحقائق والشكوك :

١ — الشك في المصلحين والفلاسفة الذين عجزوا عن تحقيق رغباتهم الأولى .

٢ — والشك في المعابد والهياكل وحياة الأوثان وبأهلها ووسطائها .

٣ — الشك في الزعامات السياسية والحياة العسكرية التي عبثت بها كوارث الحروب .

٤ — والشك في القيادات الاجتماعية القلقة وقد لعبت بها الاهواء الشخصية والاغراض الفردية ... فكنت لا تسمع إلا عن المال وكسب المال ... ولا تري الا حركة دائبة من أجل المال ووسائل الأخذ والعطاء ... وفي ذلك الجو الغريب نشأت أمور غريبة ... ولكنها جديدة ... تمثل ظاهرة اجتماعية تحمل صبغة معينة ومحددة لا بد منها . أنها حركة السفسطائيين وأتباعهم .

كانت حركات فكرية جديدة متوقعة ... نافعة رغم عدم الاستقرار الذي تصطبغ به ... تقود وتحاور .. تناقش وتعارض ... ومعها بذور الشك ينتشر في كل مكان ... يعلمون الفرد كيف يخلص نفسه ... وكيف يحصل على مصلحته أولا ... يلبسون الحق بالباطل ... ويعبثون بعقول الحكام والقضاة ... ولا يتعففون من أن

أن يتلاعبوا بنفوس الجماعات السياسية في مجالس التشريع وهيبات التنفيذ . . . وبدون شك كانت لها (ردود فعل نفسية وفكرية) مضادة . . . أما على شكل (أراء وفلسفات) . . . واما على شكل تحليلات ونظريات . . . تبحث أول ما تبحث عن شؤون الانسان في هذه الحياة . . . ومن ثم (عن شؤون الحياة) في هذا المجتمع وافراده من بني البشر . . . فكان سقراط واتباعه وافلاطون وتلامذته . . . وأرسطو وثورة ارائه وانطلاقتها إلى خارج الحدود . . . وأبوقراط وحكماء العقل والنفس والمنطق الخ ..

أ – فتحولت النظرة الاجتماعية من الفرد الساذج إلى المجتمع المتكامل .

ب – وتحولت نظرة الكون (الشاملة) إلى نظرات متفرقة تميز ما بين الانسان والحيوان . . . وما بين الحيوان والنبات . . . ومما بين النبات والمعادن الخ .

ج – وتحولت النظرة إلى جسم الانسان من (القوي الحركية والنشاط الجثماني) إلى قوي طبيعية كامنة في (الجسم والنفس والعقل) ... ودخل الذكاء والفكر والتمييز إلى الميدان . . . فكانت مرحلة جديدة من مراحل التاريخ . . . وكانت

(أيضاً) مرحلة جديدة من مراحل العلم والمعرفة لابد من ان نفهمها وندرك خفاياها وأسرارها وكيف وجدت .

موجز عن سقراط : SOCRATE

ولد من أبٍ فنان . . . وام كانت قابلة ومولدة . . ظهر في تلك المرحلة القلقة . . وفي مجتمعه من العيوب ما جعله يتمرد حتّي على نفسه . . . وظهرت معه (فلسفة الحوار) أو فلسفة التجديد .

١ — فلقد وصل الحال بذلك المجتمع إلى قمة الانحلال والفساد الخلقي والسياسي .

٢ — ولقد ظهر التميز الطبقي على ثلاث فئات قلقة وغير مستقرة .

أ — سكان السهول أو الملاك .

ب — صغار المالكين من سكان الجبال والعمال المرتزقة .

ج — اصحاب النشاط البدني من سكان السواحل والتجار وعمال البحر .

٣ ــ فكان التعالي والحسد من الطبقات العليا نحو (العلم والتعليم . . . ونحو المعرفة وتشغيل الفكر) والتجافي عن الفضيلة وكريم الاخلاق •

٤ ــ فظهرت الطبقات الوسطى (كمحور جديد) من محاور الحياة الاجتماعية .

٥ ــ وبدأ يطالب بدمج الأجانب والغرباء . . . وانتشرت هذه الآراء الجديدة .

٦ ــ فاتهمه اعداءه بالفساد . . . وافساد عقول الشباب . . . فاعدموه خوفاً من أن ينحرف بالمجتمع عن جادة العهد القديم :

يقول عنه الاستاذ المؤرخ والباحث (ألدو ميلي) . . . من الممكن جدا تحديد العلم والمعرفة الاغريقية بظهور هذا الفيلسوف في القرن السادس قبل ميلاد المسيح عليه السلام . وهو لابد وأن (اقتبس من عناصر شرقية) فألبسها لباساً جديداً واعارها صبغة جديدة .

أ ــ فلقد كان هو الأول . . . الذي أوجد مباديء دائرة المعارف الادبية والعلمية والفلسفية .

وأوجد النواة الأولى للبحث المنهجي عن طريق (دراسة النفس أولا) ومبدأ (اليقين) .

ب – وهو الذي جعلها تنمو وتتفرع .. ثم تتجه إلى عدة أغراض علمية واجتماعية مفيدة ونافعة الهندسة ... والفلك ... والرياضة وعلوم الموسيقي الخ ...

جـ – ولكن نشاطه كان محدودا ... أو أجبر على أن يكون محدودا فلم يحدث أي تغيير عميق عليه .

وهي نظرة (موجزة وشاملة) قد يختلف معه الناس .. وقد يأتلف معه آخرون ولكننا لم نبتعد عن الحقيقة على أي حال .

٧ – مات بطريقة ظالمة ... من نفوس جاقدة ... ومجتمع فاسد ... تقبلها بقلب صادق ... ونفس واعية .. وقد ساعد ذلك في نشر آرائه ونظرياته لا عن طريقه هو .. وانما عن طريق اتباعه المخلصين ... وتلامذته الذين واصلوا البناء والتطوير ... ولم يتغيروا أو يتخلفوا ... فكانت أخبار الأغريق ... وكانت حضارتهم المشهورة .

أ – مدرسة الكلبيين أنشأها تلميذه (أنتي ستين) في أثينا .

ب – مدرسة (برقة) أنشأها تلميذه (أرستيب).

ج – ومدرسة العالم (كما يسميها الاستاذ العقاد رحمه الله) . . . وهي الابقي أثرا في حياة البشر . . (أفلاطون وأرسطو) .

ولكي نكون منصفين مع انفسنا ومع الآخرين . . . سوف ننظم لأنفسنا منهجا يبدأ بهؤلاء الفلاسفة أولا . . . ولكن سوف لا ينتهي أبداً . . . اللهم إلا عندما تنتهي نظريات الكون والانسان والحياة .

فلقد كانت في الزمن الماضي (نظريات) فتحولت بمرور الوقت والتجربة إلى حقائق علمية . . . وحقائق عملية تطبيقية . . . بدأها الفكر المثقف أولا . . ثم العقل المتطور ثانياً . . ولاندري إلى أي مدي سيصل . (أنظر الصورة رقم ٢) .

أفـــلاطـــون : PLATO

كان تلميذ سقراط النجيب . . . غني المنشأ على عكس أستاذه . . . متجدد النشاط . . . متحرر الفكر . . . ثاقب البصيرة . . . يكثر من الحركة والاسفار وحب

الاستطلاع . . . وخصوصاً بعد وفاة أستاذه .

أسس مدرسة (أكاديموس) في أثينا بعد ان استقر به المقام وتقدمت به السن . . . وتابع فلسفة استاذه (سقراط) وزاد عليها أشياء كثيرة .

١ ــ كان متحمسا لنظريات ما وراء الطبيعة . . . وكان يهيم في عالم الغيب والأرواح ويدعوه (أسمي الفنون) .

٢ ــ وهو صاحب نظرية (النفوس) أو الأرواح :ــ

أ ــ الألهيــــة .

ب ــ والحيــوانيــة .

ج ــ والنبــاتيــة .

الثانية والثالثة تعملان لصالح الأولى عن طريق الفكر والخيال والذاكرة .

٣ ــ وكان يميل إلى الفن بطبيعته . . . مولعاً بتربية الذوق والجمال .

٤ ــ هاجر مع زميله (اقليدس) إلى الاسكندرية وأستفاد وأفاد .

٥ – وكانت روح المعرفة (في عرفه وفلسفته) هي العقل والفكر وتشغيل الذكاء .

٦ – اما الشعور الذاتي والاحساس . . . فما هو الا جزء من المعرفة . . . وان حواس الانسان ما هي الا (وسائط) لنقل ارائه وافكاره .

٧ – وان ادارة الحكم واصلاح المجتمع أمر خطير ودقيق . . . لا تتم ولا يصلح لها الا اصحاب المعرفة من العلماء والحكماء والاذكياء. . . ولسوف تغنيهم معرفتهم عن الأنظمة والقوانين .

وموجز عن أرسطو :

كان تلميذ أفلاطون المفضل . . . تميز عن استاذه بحقائق الحياة (المقرونة بالدليل والبرهان) . . . كان ابوه طبيبا يعمل في بلاط الملك . . . فأخذ منه مبادىء العلم والبحث :

١ – صاحب نظرية القياس . .. . التي تطورت فيما بعد إلى عدة نظريات :

٢ – وكتب في كل فروع الحياة . . . السياسة والشعر والتمثيل والاخلاق والتشريح وعلم الاحياء . . . والحساب

والطبيعة وما وراء الطبيعة . وجاء بأراء جديدة .

٣ – أدخل التصوير الرمزي لايضاح المسائل والمشكلات . . . ولكنه لم يتوسع في أمور الصوت والضوء والحرارة والكهرباء والمغناطيس .

٤ – انتقد وحلل كل النظريات التي (سبقت) وبنى على ذلك التحليل أراءه الجرئيه ونظرياته وفلسفته .

٥ – حارب الأوثان والمعتقدات القديمة . . . وأنها لا تتفق وتطور العقل . . . وطالب بالمزج ما بين السياسة والعلم والاخلاق للوصول إلى الافضل .

٦ – وأن نفكر بمصادر الجمال من حولنا . . . ولماذا هي جميلة ؟ . . وكيف لا نستعمل هذه المصادر من أجل الانسان ؟

٧ – وأن يستعمل الانسان (ذوقه) وعقله وجميع حواسه من أجل التنظيم . . . تنظيم كل شيء يهمه . . . وتنظيم كل شيء من حوله . . . وان يميز ما بين الطيب والخبيث . . . وأن يكشف الصالح من الفاسد .

٨ – وهو أول من قسم جوهر الطبيعة ومصادرها إلى قسمين :

أ — مصادر عضوية .
ب مصادر غير عضوية .

وكان هذا أول مرحلة من مراحل (معرفة الخلية الحيّة) فالعضوية هي التي (تمتلك جوهر الحياة) . . . الروح (*Suul - Spivit*) *Nature*وقسّم (الأحياء) بنسبة تتوقف على ما تمتلكه من هـــذه الروح ويدعي (سلم الطبيعة) *Ladderof Natvre* وان كل كائن حي ما خلق الا لأداء غرض معين . . . وحسب تركيبه وتكوينة . وأكثر من هذا أنه قد استطاع دراسة (عادات وتصرفات وتركيب) ما يقرب من (٤٥٠) فصيلة من الحيوان . . . ابتداء من (مرحلة الجنين) في بيص‌الدجاجة . . . وهو الذي ذكر عن (الاجواف الاربعة) في معدة الحيوانات المجترة :

وقسم عالم (الحيوان والنبات) إلى ثلاثة أصناف :—

١ — صنف النبات (وهو الذي يمتلك الروح النباتية)

Vegetative ومهمتها (التغذية وتكاثر الجنس) .

٢ — وصنف الحيوان (وهو الذي يمتلك روحين) *Animal + Vegetative* ومهمتها (للتغذية والتكاثر وتنظيم الحركة) .

٣ ـ وصنف الانسان (وهو الذي يمتلك ثلاثة أرواح). *Vegetative+Adimal+rationmal* ومهمتها (كما في السابق) ولكن ينضاف اليها (الروح السببيه) وهي مصدر الذكاء وايجاد السبب (الاستيعاب). *Faculty of Reason*

كما قسّم (صنف الحيوان) إلى فئتين :ـ

١ ـ الأولى ذات الدم الاحمر (الثديات الطيور ، الزواحف ، السمك) الخ .

٢ ـ وفئة (عديمة الدم)أو ذوات الدم (غير الملون) .

أبــوقــراط :

الكلام عنه كثير . . . وشرح الكلام أطول وأكثر . . . ولكي لا نثقل على القاريء وطالب الفائدة . . . نقتبس من حياته شذرات قيلت على لسان أحد أطباء العرب القدامي . وأحد أدباء العرب المرموقين أيضاً . . . وأعنى به أبن (أبي أصيبعه) .

١ ـ يذكر عنه أنه هو السابع من (الاطباء الكبار) في بلاد الاغريق .

٢ ـ مدة حياته خمسا وتسعين سنة (منها صبي ومتعلم ست عشرة سنة) ومنها عالم ومتعلم تسعا وسبعين

سنة . . . ومات بالفالج وأوصي قبل موته بوصية .

٣ ـ نظر إلى مهنة الطب فخاف عليها من أن تنقرض . ورغب في توزيعها على جميع انحاء الأرض . . . ومن ثم ينقلها إلى سائر الناس . . . ولا يتركها حكرا في سلالات عريقة معينة .

٤ ـ وقد نظر (باحتقار) إلى اسلوب (ذوي الأقدام المعفرّة) الذين خلفهم آباؤه .

٥ ـ أتخذ من الغرباء كتبه يعلمهم صناعة الطب ويعهد اليهم بشروطها المهنيه التّي يتحتم عليهم ازاء ذلك . . الا يعلموها لأحد الا بعد أخذ العهد والمواثيق بأن يخلصو للمهنة الأنسانية .

٦ ـ انكر كل أساطير القدامى وخرافاتّهم . . . وانها لا تمت إلى الأمراض أو الارواح الخبيثة والافات بصلة . . . وان كل ما يصيب الانسان من ويلات أو ضعف . . . ما هو الا من الانسان أو من محيط الأنسان .

٧ ـ وله ولدان فاضلان . . . وتلميذ نجيب ثالث . . علمهم الصناعة حتّي أتقنوها وأخذ عليهم عهدا (بأن الطب ما هو إلا اخلاق وعلم وتجربة) وقد وزع التخصصات بينهم .

٨ ــ وقد وضع في داره (بستانا) يعالج فيه المرضي الذين يستشفون بعلاجه . . . وجعل على ذلك البستان (خَدَماً) يقومون بمداواة المرضي ورعايتهم واطلق عليه (أخستدوكين) أي مجتمع المرضي . . بدلا من ساحة (الأباتون) والمعابد وما كان يسجل على جدرانها .

٩ ــ درس فيها علوم التشريح على الحثث . . . وشرحها مع تلاميذه على الرغم من كراهية الناس لها . . . ولكنهم لم يقاوموه . . . وطلب من الجراحين (قص أظافرهم) .

١٠ ــ دفن وصيته معه بعد موته (سرية في درج من عاج) فلما فتحوه بعد الموت وجدوا فيه خمساً وعشرين قضية في الموت واسبابه المجهولة .

١١ ــ يقول المؤرخ (سارتون) ان مبادىء ابوقراط الرئيسية في (علاج الصحة العامة) تر تكز على نظريات (اسس حيوية وقوي كامنه في الجسم) :ــ

أ ــ منها فوي الطبيعة الشافية .

ب ــ ومنها الاخلاط الاربعة .

ج ــ ومنها فكرة تكوين الجسم البشري من اربعة عناصر . . استمدها من الفيلسوف

(انبادوقليس) كما يقول (سارتون).

د — وكذلك فكرة (الحيوية) *Vitalism* التي اقتبسها من (فيثاغورس) .

هـ — ونظرية (الحومة) أو البُحران *Craisia* أيضاً .

ما هي الحــومه ؟ CRAISIA DYSCRASIA

تفسيرها هو الخيط الدقيق الوهمي ما بين الصحــة والسقم . . . يستغل (قوي الطبيعة الكامنة) استغلالا ينسجم والاخلاط الأربعة *Tte* (4) *Humonrs* ويسبق الحومة (طوران) . . . الطور (النبىء) . . . والطور (الناضج) . . . وعلى ضوء هذه الملاحظات يقرر الطبيب (تشخيصه وعلاجه) .

ما هي الحيــوية ؟ VITALISM

يتصور ابوقراط وجود عنصر (غير مادي) بين الجسد والنفس . . . وهو كالنسيم يفني بفناء الجسد . . . وقــد أشار اليها (فيثاغورس) بتعريف غامض يدل على انهــا (الروح) التي نعرفها في اصطلاحاتنا العلمية الحديثة .

١١— ومن أقواله المأثورة (في الصحة والاخلاق) :—

أ ـ العادة إذا تكررت لدي الانسان . . .
صارت له طبيعة .

ب ـ أحذق الناس بأحكام النجوم . أعرفهم
بطبائعها .

ج ـ الزجر والفأل ما هما الاحس نفساني .

د ـ كل مرض تعرف أسبابه . . . يسهل
ايجاد الشفاء له .

هـ ـ الناس اغتذوا في حالة الصحة بأغذية
السباع فأمرضتهم . . . فلما غدوناهم
بأغذية الطير صحوا .

و ـ انما نأكل لنعيش . . . ولا نعيش لنأكل .

ز ـ يتداوي كل عليل بعقاقير أرضه . . .
فأن البيئة تفزع إلى عادتها .

ح ـ لا تشرب الدواء الا وأنت محتاج اليه .

ل ـ العافية ملك خفى لا يعرف قدرها إلا
من عدمها .

ى ـ الجسد يعالج جمله من خمسة اضرب
(ما في الرأس بالغرغرة . . . وما في
المعدة بالقي . . . وما في البدن باسهال

البطن . . . وما بين الجلد بالعرق . . .
وما في العمق وداخل العروق بارسال
الدم) .

ك – ليس معي من فضيلة العلم إلا علمي
بأني لست بعالم .

ل – لولا العمل لم يطلب العلم . . . لولا
العلم لم يطلب العمل .

م – لا ينبغي أن تكون على صديقك (أكثر
ألما) من تعهدك به .

ن – وهو أول من دون صناعة الطب . . .
وجعل أسلوبه فيها على ثلاث طرائق
احدهما على سبيل اللغز . . . والثانية
على الايجاز والاختصار . . . والثالثة
على التساهل والتبيين .

١٢ – وله في علمنا نحو ثلاثين كتابا . . المشهور
منها (صحيح ومرتب) اثنا عشر :

١ – كتاب الأجنه (ثلاث مقالات) .

٢ – كتاب طبيعة الانسان (مقالتان) .

٣ – كتاب الأهويه والمياه والبلدان (ثلاث مقالات).

٤ – كتاب الفصول (سبع مقالات) تعريف للطب وقوانين النفس في التطبيب .

٥ – كتاب (تقدمة المعرفة) ثلاث مقالات .

٦ – كتاب الامراض الحادة (ثلاث مقالات) .

٧ – كتاب أوجاع النساء (مقالتان) .

٨ – كتاب الامراض الوافده ... أبيديما ... (سبع مقالات) .

٩ – كتاب الاخلاط (ثلاث مقالات) .

١٠– كتاب الأغذية (أربع مقالات) .

١١– كتاب الكسر والجبر (ثلاث مقالات) .

١٢– كتاب عن (قاطيطرون) وهو حانوت الطبيب (ثلاث مقالات) . *Iaetetron*

١٣– اشار إلى قوي الطبيعة الكامنة ... وهي أساس (الارادة القوية) ومناعة جسم الانسان .

١٤– وله غيرها من الكتب والمقالات (ربما تكون

منحولة باسمه) . . . مثل أوجاع العذاري . . . كتاب القلب . . . كتاب الاسنان . . . كتاب العين كتاب الغدد . . . كتاب سيلان الدم . . . كتاب الحمي المحرقة . . كتاب الوصيا . . . كتاب العهد . . . كتاب الخلع . . . كتاب جراحات الرأس . . . كتاب النجوم . . . كتاب طبائع الحيوان . . . كتاب قضايا الموت بلاعلّه (٢٥ قضية) . . . كتاب أعراض المرض الحادة . . . كتاب عن البول . . . وكتاب عن الألوان وغيرها كثير .

والآن . . . لقد حان الوقت لأن نذكر موجزا عن (شريعة حمورابي) التي أطلع عليها ابوقراط ودرسها . . حتي تسهل علينا المقارنة ما بين حدين فاصلين من (حدود الطب) وعلوم الاجتماع . . . أي متي بدأ الحد الأول وكيف انتهي . . . ثم متي بدأ الثاني وكيف بدأ ؟ . (أنظر الجزء الأول) .

شريعة حمورابي :

شريعة اجتماعية أكثر منها (صحية) . . . ولكنها لم تتجاهل أمور الصحة العامة (للانسان) والحيوان . . . حسب ما هو معمول به في تلك الفترة من التاريخ التي تصور لنـــا مجتمعا وحضارة من المجتمعات القـــديمة . . .

وجدت في شبه الجزيرة العربية .

وتتكون شريعة حمورابي من (٢٨٥) فقرة متنوعة ... ما يخص الصحة العامة منها نذكره على هذا الشكل :—

١٩٤ — إذا اعطي رجل أبنه (لمربية) ثم مات من أهمال... يقطع ثديها .

١٩٦ — من يتسبب في اتلاف عين عضو من النبلاء تقلع عينه ؛

١٩٧ — من يفقد (من العامة) احدي عظامه . . . يدفع عنه من الفضة كذا .

١٩٨ — ومن يكسر عظمة رجل آخر . . . تكسر عظمته .

١٩٩ — من يفقد (عبداً) عينه أو احدي عظامه . . . يدفع نصف القيمة .

٢٠٠ — ومن يسقط سن رجل من طبقته . . تكسر سنه .

١٠٢ — ومن يسقط سن رجل من العامة . . . يدفع عنه من الفضة كذا .

٢٠٦ — إذا ضرب رجل في معركة رجلا آخر فأصابه . . .

عليه ان يقسم بأنه لم يكن متعمدا . . . وان يدفع للطبيب أجره .

٢١٥ — إذا باشر طبيب عملية كبري لرجل (بسلاح من البرونز) فأنقذ حياته أو فتح دملا بعين رجل (بسلاح من البرونز) فأنقذ العين فأجره كذا . . .

٢١٦ — وإذا كان من العامة . . . يأخذ اجرا كذا ه

٢١٧ — وإذا كان عبدا فان صاحب العبد يعطى للطبيب كذا . . .

٢١٨ — وإذا باشر طبيب عملية كبري لرجل (بسلاح من البرونز) وتسبب في موته . . . أو فتح دملا في عينه فأتلفها . . . تقطع يده .

٢١٩ — وإذا كانت العملية لعبد من العامة ومات . . . يعوض عبدا بعبد .

٢٢٠ — وإذا باشر العملية على عين العبد بالسلاح البرونزي فأتلفها يدفع نصف الثمن .

٢٢١ — إذا أصلح الطبيب عظمة مكسورة . . . أو شفى

تمزقاً عضلياً . . . فعلى المريض ان يدفع للطبيب كذا .

٢٢٢ – وإذا كان من العامة . . . يدفع من الفضة كذا .

٢٢٣ – وإذا كان عبداً . . . يدفع صاحبه للطبيب كذا .

٢٢٤ – وإذا قام طبيب بيطري بعملية كبري لثور أو حمار وانقذ حياته فان صاحبها يدفع من الفضة كذا .

٢٢٥ – وإذا قام طبيب بيطري بعملية كبري لثور أو حمار وتسبب في الموت يدفع القيمة عنها .

٢٢٦ – إذا مسح رجل من المختصين بالوشم (علامة) عبد آخر دون موافقة صاحبه تقطع يده .

٢٢٧ – وإذا خادع (رجل) احدا من المختصين بالوشم بحيث أزال علامة العبد من عبد آخر . . . يقتل الرجل المخادع ويعلق على باب بيته .

٢٢٨ – إذا اشتري رجل عبدا (أو أمة) ولم يحل الشهر وأصيب بصرع فأنه يعيده ويستر د المال .

٢٨٢ – إذا قال عبدٌ لسيده (أنت لست سيدي) واثبت السيد عكس ذلك تصلم أذن العبد .

مدرسة الاسكندرية :

مركزها الجغرافي كان نافعاً وفعالا . . . تحولت إلى مركز علمي حيوي بين القارات الثلاث . . . استفادت من معلومات الحضارات الشرقية القديمة وافادت . . . ثم افادت واستفادت من حكمة الاغريق ونشاط علمائها . . . ولكن المستفيد الأول منها كانوا (هم الرومان) حقاً .

عهـد الاسكندر في تخطيط المدينـة إلى المهندس (دينوكراتيس) الروديسي واقتصرت مهمات (مدرستها) وتجاربها على أربعة اركان :ـ

١ ـ الرياضة وعلوم الفلك نبغ منهم (افروخوس الكنيدي وأرسطرخوس وهيبا رخوس وبطليموس) وغيرهم.

٢ ـ وعلوم الطبيعة والنبات والحيوان نبغ منهم : (هيروفيلوس وهرقليدس وديسوقريدس) وغيرهم .

٣ ـ والطب وفروعه . . . نبغ منهم (جالين . فيزاليوس ، سيلسوس) وغيرهم .

٤ ـ المقارنات العلمية (في كل المجالات) ما بين الاراء القديمة الغامضة والافكار الجديدة . . . وكان من حسن حظ الطب والصيدلة مادرسوه عن (طب الفراعنة

وعمليات التحنيط وصناعة العقاقير) لا في مجال (حياة الانسان فقط) . . . وانما في امور الحيوان والنبات أيضاً . . عرفنا أخبارها بعد أن نُشرت وثائقها (القديمة) في عصرنا الحديث :ـ

أ ـ فبرديه كاهون مثلا ـ اختصت اخبارها عن طب الحيوان البيطري .

ب ـ وبردية أودين سميث أختصت أخبارها في ترتيب اعضاء الجسم واعراض المرض.

ج ـ وبردية هيرست . . احتوت على مائتين وستين وصفه طبيه متنوعة .

د ـ وبردية لندن . . . احتوت على ثلاث وستين (وصفة سحرية) للشفاء من أمراض العيون والحروق والنساء ؛

هـ ـ وبردية أيبرس . . . احتوت على ثمانمائة واحدي عشرة وصفة طبية متنوعة .

و ـ وبردية برلين . . . اقتصرت على أخبار (طب القدماء) ومن قبلهم .

أما من الناحية الوقائية : فكان عنصرها الاساسي في المعابد هو (النظام) العام للمعابد والملابس والاجسام . . . يرتدون الملابس البيضاء ويقصون شعورهم كل ثلاثة أيام

لطرد القمل والحشرات . . . كان العمال والعاملون يحرقون اعشاشهم كل عام لطرد الفئران والحيوانات الضارة الخ: وكأنهم بدأوا صحة البيئةبجانب صحة الجسم من ذاك التاريخ.

النشاط العلمي بعد ان كان ثقافياً :

أن النشاط ما قبل المدرسة وبعدها . . . هو امتداد للثورة الفكرية عند الأغريق . . . في كل ميادين الحياة ومجالات الطبيعة . . . وأمور الكون والانسان وما توسطها من روابط حيوية متطورة . . فمثلاً كان طاليس الآيوني يتساءل .

١ — مم صنع العالم ؟

٢ — وما هي العلاقة ما بين العالم والكون ؟

٣ — وهل الطبيعة منظمة ومرتبة ؟ . . وتخضع فعلاً لاساس من النظم والقوانين ؟! . . . وهل هي تحت رعاية عجيبة ودائمة من الآلهة حقاً ؟! .

Whim of Capriciuns Gods

وكان ثيوفراست . . . ورفضه للنظريات القديمة الموروثة . . . وكتاباته عن النبات وما وراء الطبيعة ثم (ماتيليوس) الذي جاء بنظرية الماء والهواء في التكوين :

وديموقريطس جاء بنظرية الشوارد الذرية
Atoms and ions

وأمبيد وكليس جاء بنظرية العناصر الاربعة والأنواع الاربعة للتكوين :ـ

١ ـ الما	١ ـ البروده
٢ ـ الهواء	٢ ـ الرطوبة
٣ ـ التراب	٣ ـ الحرارة
٤ ـ النار	٤ـ اليبوسة

وان (الدم واللحم) في الانسان مركب من أربع كميات متساوية من هذه العناصر . إلا العظام فأأنها تتركب من ثلاثة أجزاء :ـ

أ ـ نصفها (نار) .
ب ـ ربعها (تراب) .
ج ـ ربعها (ماء) .

ولم يقتصر هذا النشاط العلمي والفكر علي هؤلاء . . . بل جاء غيرهم كثر أمثال :ـ

بلينوس :
صاحب الكتابات عن التاريخ الطبيعي . . . ومجدد رسالة أرسطو عن تاريخ الحيوان واجزاء الحيوان .

اكساجــوراس :

أول طبيب يوناني ينبه إلى (النبض) في التشخيص . . وأن ماء المطر اساس الحياة .

فيلينــوس :

أحد مؤسسي هذه المدرسة وصاحب الخبرة والتجربة والتشبيه . *Diffirantial - Diagnosis*

وقد أسس مع سيرابيون (مبدأ الثالوث) ونشرة للتدريس .

ســيرابيــون :

أحد مؤسسي هذه المدرسة . . . ومن معارضي ابوقراط الألداء . . . وأحد أركان (مبدأ التجربة) ونبذ الاراء النظرية .

أورتيــانــوس :

جامع معاجم ابوقراط مع (جلوكياس) واحــد المستفدين منها .

هيراقليــدس :

صاحب نظرية (النار) في التكوين . . . وكاتب

أقدم رسالة في الطب البيطري عنوانه (الحكه ّ المزمنه) والتنميل .

ديمـــتريـــوس :

الذي بدأ تخصص أمراض النساء والتوليد وعسر الولادات . ويقال انه بدأ ترجمة (التوراة) إلى اللغة اليونانية فحاربوه وهرب . وهو الذي ميز في التشخيص ما بين الالتهاب الرئوي وذات الجنب :

هـــيروفيلـــوس : :

أستاذ التشريح ووظائف الاعضاء . . . ومن المؤسسين الموهوبين لهذه المدرسة . أدخل تحسينات على النبض والتشخيص . . . وعلى أهمية الرياضة والتغذية .

ايراسيســـت راتـــوس :

أكثر من تشريح الجثث الحيوانية والبشرية في جو واضح ومريح . . . فتطور العلم بواسطته وزملائه تطورا عملياً أقرب إلى الحقيقة .

سيلســـوس :

بدأ (بفرز طب الاطفال) . . . ونصح بمعالجتهم على أنهم غير بالغين .

أرتيـــاوس :

وصف التهاب اللوزتين وشخص مـــرض الخناق (الدفتريا) واعطاه لقباً يتميز حسب المكان والمنطقة . . . منها ما هو مصري . . ومنها ما هو سوري .

ديـــودوروس :

كان يعتقد بأن (القمل) ينشأ من جلد الأنسان وعرقه .

وآخرون غيرهم سوف نمر على ذكرهم وذكر اعمالهم فيما يأتي من الحديث . ودرجت انجازات هذه المدرسة العلمية (روحا وعملاً) لم تبلغه ارض الرومان ولا اليونان من قبل . . . اشتهر منها مهندسون وطبيعيون وفلاسفة . . . مفكرون وباحثون وجغرافيون . . . وأصحاب رأي وتجربة ومواهب غيرت المعالم النظرية إلى عملية . . . تعاونت ثم غيرت مسار التاريخ والبشرية مساراً لازلنا نمشي عليه ولسوف يتجدد ويتطور وأن طال بنا المسار .

ظهـــور المسيحيـــة :

رسالة من رسالات السماء . . . لا نناقش اثارها كما كان الحال معنا في الجزء الاول . . . فالوضع يختلف تماماً . . . ولكن المعاناة واحده . . . والصد والمعارضة أكثر شراسة . . . وقد تحقق لها الانتصار فيما بعد . . .

وحققت للناس في تلك الايام نتائج خير وصحة وسعادة . . .
ليس من الناحية الدينية والدينوية فحسب . . . وانما من
من الناحية الفكرية وتطور التشريعات الارضية لصالح
المجتمعات كلها . . . وكان (للموسويين) الفضل الاول
في هذه الانتصارات . . . فقد كانوا أشرس الخلق في
مقاومتها والحد من عبورها إلى النفوس . . . الأمر الذي
أدي ولا شك إلى انعكاسات حيوية واضحة رسمت الحدود
ما بين عهدين اثنين . . . الاغريق وسلوكهم الاجتماعي
المسالم . . . والرومان وسلوكهم العنيف المتغطرس . . .

لا نقول هذا عيباً . . . وانما لنصل بعدها (ومن
خلالها) إلى المجتمعات العربية في شبه جزيرة العرب . . .
وهو بيت القصيد .

فلقد سبق وتحدثنا باسهاب عن الكهانات القديمة والسحر
والاوثان والاساطير . . . وذكرنا كيف كانت المجتمعات
الاولى الساذجة تربط حياة الناس (وموتها) بمصير الأفلاك
وتأثير النجوم والارواح الخبيثة أو كل شيء يكمن في
(ما وراء الطبيعة) . . . ومن خلال تلك الاحاديث
المبسطة تكلمنا ايضاً عن الظلم والظالمين القدامي . . . وعن
طغيان سطوة الفرد على الفرد وعن تلك التشريعات الدنيوية
الوضيعة . . . وما آلت اليه امور الحضارات القديمة
ومجتمعاتها من فساد وانحلال لا مفر منه .

الأمر الذي أدي بدوره إلى ردود فعل أصلاحية . . .
وظهور (مصلحين وحكماء ومتعلمين) . . . ظهرت معهم المعتقدات وعيوبها . . . وان كان ظهورها كان حذزاً . . . يدخل إلى النفوس خلسة . . . ويتعامل مع العقول والافكار خلسة . . . وهذا ما حصل للرسالات السماوية تماماً .

وكان وضع الأمبراطوريات السياسي والأجتماعي يتذبذب . . . ولكنه إلى الانحدار اقرب . . . في كل منحي من مناحي الحياة . . . السياسية . . . والاخلاقية . . . والدينية . . . والتجارة وشؤون المال والجيش وفنون القتال . . . والتشريع وحقوق الفرد . . وكذلك فنون العلم والمعرفة والتفكير . . . ونزلت رسالة من رسالات السماء . . واهتزت الامبراطوريات هزات عنيفة . . . إلا في شبه الجزيرة العربية . . . فالوضع خلاق دائماً . . فهو مهد الحضارات والتقدم والنمو والتطور . . . وأن تأثرت احواله ومجتمعاته بعض الشيء . . . فمن محاسن ذلك التأثير العابر أن لا يدوم .

يذكر الدكتور الدواليبي عن المسيحية جوانب مهمة :—

١ — ظهور السيد المسيح عليه السلام بين قومه من (الموسويين) . . . في وقت كانوا يتوقعون ويتنبؤون له بالظهور .

٢ — فلما ظهر المنقذ لهم من بطش الظالمين :. .
كانوا هم أول من بطش به .

٣ — وكانت دولة الاباجرة العربية (في الرها)
وعلى حدود اسيا الصغري . . . هي أول من نصر وساعد.
٤ — اشتهر من ملوكها (أبجر الخامس) وكان
يشكو من عاهة ألمت بجسمه . . . وعجز الاطباء والعرافون
من شفائها . . . فاستعان بالسيد المسيح عليه السلام .

٥ — أوفد اليه واحدا من أصيفائه ومعه (وَصَفات
البرء والشفاء) فكانت المعجزة بالنسبة لذلك الملك وقومه .

٦ — فآمن ذلك الملك العربي وتبعه رهط كبير
من اشراف مملكته . . . وبنيت المعابد وتكونت نواة
(الجماعة السريانية) يلوذون بها من العنت والظلم والتعذيب.

٧ — حتي جاء الامبرطور قسطنطين فأعاضها خسائرها
وضحاياها في عهد من سبقه من الجبابره .

يذكر (هيروشيوس) عن احدهم . . . انه كان قاسياً
على اتباع المسيح إلى درجة الوحشية . . . وقد حبس أحد
حواريه حتي يضمن له عدم عودة المسيح إلى العرش . . .
وكانت دعوة كافرة من اليهود يوحون بها إلى الأباطرة

(فكلما جاءكم رسول بما لا تهوي انفسكم . . . استكبرتم . . . ففريقا كذبتم . . . وفريقا تقتلون) .

ويقول الاستاذ (هـ. ج. ويلز) لقد بدأ اضهاد المسحيين في عهد الامبراطور (ديسيوس) ووصل الذروة في عهد الامبراطور (سبريوس الثاني) وهو الذي دبّر المكيدة للسيد المسيح بالتعاون مع احد تلامذته (يهوذا) مقابل ثلاثين قطعة من الفضة . . . وقد ساعدهم ومهّد لهم الأمور كاهنهم الأكبر (كايفاس) .

ماذا أفادت تلك الرسالة :

١ ـ جاءت لأصلاح المجتمعات المنهارة ونشر العدل بدلا من الظلم والجبروت الذي ساد . . . وغيرّت كثيراً والنظريات الغامضة .

٢ ـ فكشفت الموسويين على حقيقتهم .

٣ ـ واظهرت الرومان على حقيقتهم ايضاً .

٤ ـ وانكشف (الكهان) وأصحاب العقائد والميول المنحرفة على حقيقتهم كذلك .

٥ ـ وانتشرت من (الرها) إلى اليونان والرومان

وبلاد فارس ومصر والشام وشبه الجزيرة العربية . (أنظر الصورة رقم ٤) .

٦ — وقد بدأ الخلط مابين الاخبار في وقت مبكر . . . فتداخلت أمور العلم والدين مع السحر . . . وأمور الخرافة مع تعاليم المسيح المحرفة بمرور الوقت .

٧ — فجاءت على شكل علاج وشفاء . . . كما جاء على شكل اساطير وخرافة . . . وعلى شكل نظريات معدّلة أو محرّفة .

٨ — ومن العجيب أنها قد سرت في النفوس الساذجة والأذهان الجاهلة . . . أكثر مما سرت أخبار الطب النافعة واخبار العقاقير الشافية . . . والسبب في ذلك قد اعزوه إلى عدة أسباب :—

أولاً — لأنها دخلت باسم الدين وارتباطها برسالة السماء التي تؤثر بالنفوس .

ثانياً — ولأنها مع سهولة التأثير والتطبيق . . . كانت غامضة بالنسبة للنفوس المريضة والأذهان الجاهلة .

ثالثاً — وتأثير الغموض على النفوس المريضة يفعل

الافاعيل دائماً لا سيما عندما يستخدم كغذاء للأرواح أو كشفاءٍ للنفوس ؟

قفزة أخرى نحو الطب :

أ ول (قفزة) على الرغم من أنها مرت بمراحل متدرجة ومتداخلة . . . وأقول (قفزة) على الرغم من أنها تطورت واستحالت من حال إلى حال بواسطة حكماء وفلاسفة ومفكرين ومشرعين . . . تكاملوا وتعاونوا بصورة غير مباشرة على استكمال ما وجدوه ناقصاً . . . وكانت الخطوط الفاصلة للتكامل (وهمية جدا) إلى درجة لا تقدر أن نقول عنها بأنها (تخص فلانا) بذاته . . . وقد جعلنا البداية مع (ابوقراط) حتى يكون المسار واضحاً أمامنا . ولكن هذا لا يمنعنا من أن نقول بأن هناك (مجهولين) قد سبقوه ولم يسجلهم التاريخ . . . القصد منا لم يكن لتصوير الاوضاع الاجتماعية المتدهورة فقط . . . وانما لتصوير التطور الفكري والاخلاقي الذي حصل من تأثير تلك الرسالات السماوية . . . خذ مثلا . . . الفوارق التي ظهرت ما بين المجتمعات الاغريقية واللاتينية .عندماجاءت (المسيحية) فظهرت بين تلك العهدين .وظهرت معها آثار عامة شاملة :—

١ — فتبلورت القيادات العسكرية والزعامات السياسية تلقائياً من تلك التشريعات الجديدة .

٢ ـ وتأثرت علاقة السلطات الحاكمة من الكهنة والحكام وذوي الجاه من (الافراد) بالمعابد والهياكل والحفلات الدينية وطرق تقديم القرابين .

٣ ـ وكان النفوذ العسكري في تلك الازمان هو الذي يتحكم بالسلطات الحاكمة على الأغلب . . . فالعتاد العسكري كان يؤمن (من العسكريين) أنفسهم . . . ومستلزمات الحرب والدفاع كانت تدفع من اموال العسكريين الخاصة وليس من اموال الدولة .

٤ ـ ومن هذه النقطة بدأ الاختلال (الاجتماعي) . . وبدأت الاخطاء تتوالى على كل الهيئات العليا مما أثر على توازن الحقوق والواجبات فيما دونها .

٥ ـ فسنحت الفرصة تلقائياً (وخلسة) إلى ان تكون القيادات المتحكمة في المجتمعات الساذجة هي السلطات العسكرية . . . فهي التي تبدأ الحرب وهي التي تصنع السلم.. وهي التي توزع فئات الجيش والمجتمع :ـ

أ ـ فكان سلاح الفرسان (وهو الأول والآخر) بيد من يؤمّن السلاح ويمتلك العتاد (بأمواله الخاصة) .

ب – وسلاح المشاة للمراتب الوسطي والمهارات المساعدة .

ج – اما الفئات الدنيا فهي من فرق الرماه والمهاجرين وباقي الخدمات العسكرية الأخري.

٦ – ونفس الداء في التفرقة سري على المجتمع اللاتيني في روما والامبراطورية ان لم يكن أقسي وأبشع .

أ – فالشعب الروماني الأصيل . . . (أو السيد) . . له طبقات وفئات رفيعة القدر والمقام . . يتحكمّ بالحاكم والسلطة من جهة . . . وتوزيع الأعمال وتصنيّف المحكومين من جهة ثانية .

ب – فالموالي والاجانب والاتباع لهم طبقات وفئات . . .

ج – والممتازون فكرياً وعقلياً لهم فئات ودرجات . . .

د – والمزارعون كذلك . . هم (مع أولادهم ومستعمراتهم) .

ه – وعبيد الأرض من السبايا والمهزومين في الحرب .

و – والارقاء والعبيد الحقيقيون .

ز – وأنصاف الاحرار . . . لهم صفات معينة أيضاً .

ح – والوضعاء أو الطبقات الدنيا كذلك .

ط – ولم ينسوا ما هو خسيس منها . ***Vilain*** (من الفقراء والمحتاجين والمنبوذيين).

وكانت الطبقات الدنيا تقوم بكل الحرف والاعمال المهنية الحيوية من خياطة ونسج وفلاحة وصناعة اسلحة وتربية أطفال . . . بما في ذلك (أمور الطب والسحر والشعوذة ووسائل الاسعاف والقبالة والشفاء) .

١ – وكان (التعالى والكبرياء) على هذه المهن وأهلها من السادة والطبقات العليا . . . أدى تلقائياً إلى احتقار كل اصناف المهارات والصناعات البدنية . . . مما أدى بهم آلى نفس المصير الذي آلت اليه المهارات في دولة الأشوريين . (راجع الجزء الاول) .

٢ – فلا يحقق للطبقات الدنيا ان تتعبّد (في معابد الأسر العالية) . . . ولا يحق لها امتلاك الأرض أو عقد الزواج . . . ولا الأمتناع عن (دفع الضرائب) .

٣ – وكانت عادة (اعدام المشوهين) من الأطفال

أو بيعهم إلى الأجانب . . . عادة مألوفة أدت بالتالى إلى التنصل منهم ومن نسبهم الشريف .

٤ – يقول الاستاذ (شبلنغر) لقد أصدر مجلس الشيوخ في روما أمرا يقضى باحراق كتب الفيثاغوريين الهدامة . . . وأمراً يقضي بالنفى والابعاد للفلاسفة المنحرفين. وأمراً يقضي بمعاقبة من يمتنع عن تقديم القرابين لصورة الأمبراطور .

ويقول ايضاً : (لم يقتصر التفريق الطبقي في روما على الاحياء فقط . . . بل تعداه إلى الموتى من الفقراء والمحرومين . . . (فبينما كانت تنصب مدافن الأغنياء والنبلاء بروعة وجمال . . . كانت جثث الأموات من البشر تطرح إلى جانب جثث الحيوانات في قبر واسع واحد . . . وبقيت روما تسلك هذا المسلك حتّي جاء الأمبراطور أغسطس فأنصف المحرومين) .

٥ – فكان اقبال الفئات الدنيا على تلك (الخدمات العامة) من أهم العوامل التي أدت إلى أن يتحكموا بها ويتقنوا اسرارها . . . اما حماية للنفس من الشر والأذى . . وأما دفاعا عن (النفس والحق والحياة) . . . فظهرت مواهب اجتماعية جديدة في أمور الطب والصيدلة مع

خبراتها . . . الأمر الذي حول أمور السحر والشعوذة الى وسائل شفاء شعبية . . . ظهر منها (التداوي الشعبي) بأحسن صورة مما مضي . . . فلا شيء كان يخيف الانسان الظالم أو المظلوم (كالمرض الخفى) أو الوباء الكاسح . . وقد رأينا ذلك في الجزء الأول .

وفي نفس الوقت كأن لم يكن (وقتئذ) من شيء يفرح ذلك الانسان الخائف أحسن من (الشفاء) و البحث عن بوادر للشفاء . . . الأمر الذي أرشد أولئك الناس إلى أن يمسكوا باسراره . . . ومن خلال تلك الاسرار كانوا يحققون عدة اغراض شخصية كما قلنا :ــ

١ ــ كسب العيش بالوسائل (العلمية).

٢ ــ والتغلغل داخل المجتمعات إلى أعلى . . . وكسب الثقة والسيطرة من خلال هذه الاسرار .

٣ ــ وحماية النفس والمهنية من شر الظالم أو المضطهدين .

٤ ــ ومساعدة امثالهم من المظلومين بهذا السلاح العلمي الذي تخضع له كل

أصناف النفوس وكل الرؤوس معا .

والحق كان معهم . . . فلا يتصور احد . . . مقدار ما كانوا يقاسونه من ويلات وعناء . . . فقد كان لكل أسرة رومانية عريقة (مذبحها الديني) في وسط الدار . . . ولا يلجأ اليه إلا ذوي الاعراق الاصلية من الرومان . . . توقد هذه النار بصورة دائمة . . . كعلامة من علامات المجد الديني والدينوي فأذا ما خمدت تلك النار . . . كانت نذر شؤم على اهلها عند الناس .

وكانت عبودية الرومان (وأمراضها الاجتماعية) أشد قسوة من عبودية الاغريق كما يذكر التاريخ . . . وكان ما يحصل للعبيد والأرقاء وامثالهم في المعابد والبيوت من موبقات هي أكثر فسقاً وفجوراً وفساداً مما كان يحصل في القصور وبلاط الحكام . . . وما كانت تلك العبودية القاسية مقصورة على الأبدان البشرية الحية فقط . . . وأنما سرت تلقائياً إلى الاموات والى كل المثقفين والمتعلمين والأطباء وصناع السموم و (الصيادلة) . . . وكان الاغلب منهم ينتمي إلى العرق اليوناني المهاجر . . . فتدهورت أغلب الصناعات الحيوية . . . وتخلفت أكثر المهارات البدنية والفكرية (ما عدا صناعة السموم) . . . وتقدمت كل عيوب الأمبراطوريات الى الامام تارة . . . وإلى اعلى

تارة . . وإلى أسفل تارة ثالثة . . . حتى تقهقرت (فجأة) أمجاد تلك الامبراطورية . . . وتمزقت إلى مجتمعات متباينة . . وحرف مختلفة . . . وإلى رغبات متعددة . . . كلها ثائرة النفس . . . متمردة الهوي . . . وكان الحاكم يعيش في معزل عنها معتمداً . . . فتشكلت الهيئات والجماعات السرية والعلنية (كما حصل في عهد الاغريق تماماً) . . . وظهرت معها آراء وخرافات وتصورات أسطورية جديدة . . . بأشكال وصور متعددة . . . منها ما هو منسوب إلى الآلهة والابطال المحليين . . . ومنها ما هو مستورد (ومؤلف) توليفاً أجنبيا يتفق وحالات المجتمع المتضاربة . . . القصد منها لم تكن مغالطة الحــاكم والرفع من قدرة وشأنه فحسب . . . وإنما (أكل العيش) وحماية الحياة والتستّر على العيوب والاخلاق السيئة من خلال تلك (المعتقدات الغامضة) والمجتمعات الجاهلة . . . والعادات المهلهه أو المنهارة . . . وسرَتْ الخطورة وأنتشرت منها (أدواء اجتماعية . . . نفسية وعضوية وعقلية) لها ما يناسبها من طرائق العلاج والشفاء بما يحير العاقل المفكر . . . ويزعج الفاهم المدرك . ولكنها كانت تتناسب مع ما كان يدور في المجتمع من (انفعالات وتفاعلات) وردود فعل لا تقدر على تصورها التصوير الصحيح الا عندما نجعلها على هذا الشكل : —

١ – انتشر السحر بكل غرائبه (القديمة والمحدثة) في الهياكل والمعابد والبيوت والشوارع . *Exorsice*

٢ – وانتشر التنجيم وعلوم الفلك البدائية كذلك .

٣ – وبدأ استطلاع الغيب والتفسيرات الأحلام تأخذ شكلا عاماً في حفلات (الهياكل والمعابد) وحفلات المجتمع (الخاصة والعامة) .

٤ – وتعددت آلهة المرض ... خوفاً من المرض وليس رجاءً للآلهة : مثلا .

أ – الآلهة كارنا *Carna* حامية الأمعاء .

ب– الآلهة فيبوس *Febus* آلهة الحمى .

ج – الآلهة لوسينا *Lucinr* آلهة الولادة ألخ .

٥ – وبدأ الوسطاء (من الحيوان والطير والنبات). ورقص الدمي ونشر البخور وذبح القرابين . بدأت تبرز إلى الوجود بشكل مشوه ومشوش .

٦ – ودخلت (أرواح الموتي) إلى ميدان تلك الحفلات والمعتقدات الغامضة ... والطواف حول الأسوار والمعابد (اما للحماية منها واما للتخلص منها) ... واما أرتزاقا أو ادعـاء ... وأصبح التميز فيما بينها وبين

الأمراض العضوية والنفسية شائكاً ومعقداً يصعب الوصول اليه وتشخيصه .

٧ – ولم يمنع هذا الوضع الغريب من أن تبرز مواهب في الهندسة والفن والموسيقى وامور الطب والصيدلة والشفاء . فلقد ذكرنا عن العالم (فرونتينوس) الذي اشرف على تمديدات مياه روما ومجاريها *Cloaca maxima* وهو يقول (من له فضيلة القدرة على مقارنة انجازات روما العظيمة بأهرامات مصر وفلسفة الاغريق فليفعل) . هذا ما يقوله ذلك العالم عنها آنذاك . . . وكذلك (سيلسوس روفوس) استاذ جراحة (اللوز والغدة الدرقية) وأول جراح استعمل (المرآة العاكسة) في فحصها . . . و (بيدانيوس) الذي كتب خمس مجلدات عن صناعة العقاقير اليونانية وغيرهم .

اللاتـــين :

يقول الأستاذ (جاوس) عميد جامعة (برينستون) السابق . . . في وسعنا ان نتجاهل جميع ما كان قبلا . . . وننظر إلى شيء غريب عن الرومان فقد كانوا يمتازون عن الاغريق بالروح العملية الواقعية . . . وكان لهم العذر في ذلك الزمان . . . فقد واجهتهم مشكلات اجتماعية عويصه اهمها وجود الاجناس غير الرومانية . . . وقد

كانت تتدفق إلى روما بكثرة . وكانوا يزاولون جميع المهن والاعمال والخدمات . . . وكان الرومان الحقيقيون يشجعونهم باسلوب غير مباشر (بالاحتقار والغرور) . . . الأمر الذي أدى إلى ردود فعل مزدوجه . . . فشرُعت الحقوق الفردية ما بين الاجناس . . . وظهرت مهارات لغوية وفكرية وغير فكرية . . . مما نري آثارها على الحضارتين الامريكية والأروبية في الوقت الحاضر .

١ ــ وفي الأساس كانت روما القديمة مستعمرة (للأتروسكيين) طوال القرنين السادس والسابع قبل الميلاد . . . وكان الاغريق في تلك الايام ممن يستعمرون الجزء الاكبر من ايطاليا .

٢ ــ وكان الحكم الدارج عندهم انذاك حكماً عشائرياً . . .السلطة فيه للحاكم القوي. . . يتحكم بالادارات والدولة (بمجلس أعلى) من الاشراف وعليه القوم . . . ومجلس آخر لابناء البلاد الحقيقيين . . . ولم يكن للأجانب أو العبيد أو الارقاء أية مكانة اجتماعية . . . سوى الخدمات العامة .

٣ ــ وكانت النواحي العسكرية والتجارية عند الرومان هي الأولى عند الحاكم ومواليه . . . والمال

والتجارة (للموسويين) يتحكمون بها نكاية وتزلفا وحرفة . . . والجيش وآلات الحرب بيد الحكام والزعماء . عكس قبائل الاغريق فقد كانت على سجيتها ميالة إلى البطولات الاسطورية والقصص والشعر . . . الامر الذي ميزها عن اللاتين بشيء من الميل إلى الهدوء والاستقرار والحضارة . . . لا في جانب واحد فقط . . . وأنما في جوانب متعددة . . . كتربية الجسم بالرياضة والفن وتربية الروح والنفس بالشعر والقصص . . . ومن ثم تربية الفكر إلى المستقبل الذي أسسوا معالم تقدمه ومصادر تطور (كشخصية قومية) عالمية .

٤ — وكان للأنتشار العسكري الروماني فضائله . . . كما كان للهدوء والفلسفة الأغريقية محاسنها في تلك العصور . فقد ساعد ذلك الانتشار على نقل المفاهيم الجديدة على (قناطر عبور) متبادلة جديدة . . . وأساليب للعبور ما بين الشرق والغرب ومصر . . . أكثر مما كان قبلا . . . وتماماً كما كان الحال مع البابليين والآشوريين والكنعانين . سرى على أمة اليونان والرومان وشبه الجزيرة العربية .

٥ — وكانت مع هذا الانتشار عيوب . . . عيوب الأمبراطورية الاجتماعية (وهي في أوج عظمتها) . . . كالتعالى والغطرسة والانحلال واحتقار المهن والخدمات

الا في شيئن (الجاه الطائش و كسب المال بأية وسيلة) . . .
مما يذكرنا بما قاله الفيلسوف الاجتماعي (افلاطون) عن
آنذاك . . . (كانوا يفضلون المادة على المعرفة) .

٦ — وكان نصيب المدرسة الاغريقية من البطش والتنكيل شديدا . . . لا سيما بعد حروب (كورنيتى) . . . فترسبت العداوة والعدوي . . . في النفوس والعقول والاعمال كلها ... فطورد المعلم والمفكر ... وشرد الطبيب والصيدلاني ... وعلى مر السنين والايام انتعشت (أراء جديدة وافكار) . ومعها فكر جديد ودهاء يتستر وراء الغدر والخيانات . . . فتصارعت حقوق الأفراد مع حقوق الطبقات . . . وأدى بها ذلك الصراع إلى الدمار والأنهيار في النهاية .

٧ — وفي مقدمة ذلك الصراع القاتل (صراع العقول والمواهب) وانتشارها ما بين العلم النافع وللفلسفات المزيفة . . . تأرجحت في انحاء الأمبراطورية حتي انهزمت . . ولكنها لم تكن بدون أثر .

٨ — وكان اعتماد الناس (في تلك الظروف السيئة) اعتماداً عمليا وتطبيقياً . . . لا من خــلال الطب والعقاقير والسموم فقط . . . وانما من خلال مجالس السحر

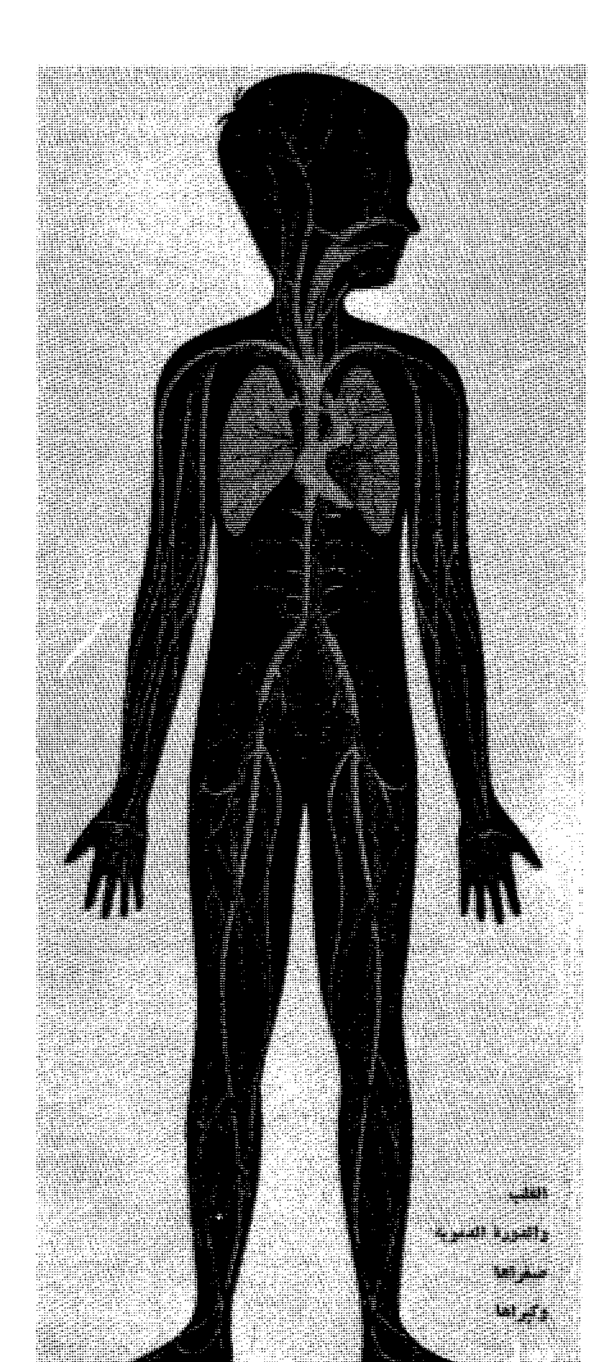
وحفلات الشعوذة والبخـور والأعشاب أيضاً . . .
فلا عجب إذا ما سمعنا من بعض المؤرخين من يقـول
(لم يكن هناك طب روماني حقيقي . . وانما هو طب يوناني
كان يمارس في روما والأمبراطورية) . . . فأكثر الأطباء
المهرة . . . كانوا من اليونان . . . وأغلب المدرسين
والمعلمين كانوا من اليونان . . . من محاسنها وفضائلها . . .
ظهور (شهادات دراسية اكاديمية على عدة مستويات فنيه
متعددة فيما بعا) . . . وما كان موقف المجتمع الروماني
أزاءها الا مقلدين او مستفيدين . . . أما بصفتهم (سادة
يحتقرون المهنة) . وأما بصفتهم حكاماً عسكريين لابد
وأن تنفذ أوامرهم . . . وذلك بحد ذاته (دور) جديد . .
أو طور من أطوار المجتمعات (ينم عن أراء وأفكار)
أو استنتاجات تاريخية لا مفر من حصولها .

جـالـين :

كان طبيب الامبراطور (ماركوس أوربليوس) .
مكنه من الحظوة والسطوة . . . وزاد على استاذه ابوقراط
في أمور جسم الانسان . . . ولكونه جراحاً فقد تمكن من
تشريح الهياكل العظمية للأنسان وللقرود . . . فأعطي
للتشخيص صفة أقوى . . . ليس في ميدان الجسم واعضائه
فحسب . . . وانما في أمور (النفس والعقل والخلل العاطفي).

ولد في بلاد آسيا الصغري .. ودرس في اليونان ومدرسة الاسكندرية . كان والده مهندساً . . . وامه شرسه مثل زوجة سقراط . عين جراحاً لدي المصارعين المحترفين ثم سافر إلى روما . . . ومال إلى التطبيق العملى وتنظيماته. . . وقسم الأمور إلى (نظرية وعملية وأنتاجية) . . . ولم يقطع روابطه مع المعابد والهياكل والاراء القديمة في الدين . ولكنه حارب الشعوذة والمشعوذين بكل قوة . يذكر عنه عنه ابن أصيبعة قوله(بدأ الدافع لذلك . . . عندما حججت إلى هيكل اسكولابيوس المقدس . . . وكنت اشكو وقتئذ من دبيله مرضت بها . . . فما كان منى الا أن بر ئت) . . ومن الوصف العام لتلك الحالة التي كان يشكو منها (جالين) نستخلص انها حالة (التهاب للزائدة الدودية) على الأقرب .

وهو صاحب نظرية (المنافذ والمخارج) التي أضافها إلى نظرية الاخلاط الأربعة القديمة . . . وقد كتب رسائل (فيثاغورس) بماء الذهب وسماها (الرسائل الذهبية) . . وبقيت نظرياته وآراوه تدرس في أوربا والمجتمعات التي لحقت وقتاً طويلا . . (وبالتحديد) عندما أحرق كتبه الطبيب السويسري (باراسيلسوس) *Paraclesus* في عام ١٥٤١ ميلادية . . . حيث بدأ عصر البحث عن (الجراثيم) بدلا من الاخلاط والامزجة والعناصر الأربعة .



القلب
والدورة الدموية
صغراها
وكبراها

نظـــرية المخـــارج :

تطورت باختصار وكما أرادها جالين :ـ

١ – إلى مخارج الدم وهي . . . الأنف والفم والحيض.

٢ – وإلى مخارج البلغم وهي . . . مخاط الانف.

٣ – وإلى مخارج الصفراء وهي . . . كيس الصفراء

٤ – وإلى مخارج السوداء وهي . . . الطحال والمعدة .

وعلى ضوء هذه النظرية تأكدت نظرية ابوقراط في التشخيص والعلاج . . . فأما (الفصد) وأما (المقيئات) وأما (المسهلات) وأما (الغرغرة) وهكذا . (أنظر ما سبق).

نظـــرته إلى النفس :

أتبع نفس التقسيم الذي أوجده (أفلاطون) . . . ولكنه زاد على ذلك بأشياء متطورة :ـ

أ – أدخل إلى التشريح طرائق جديدة فاستفاد وافاد .

ب – اثبت أن مراكز الحس والادراك (الحسي والحركي والفكري) تقع في الدماغ .

ج – وأن مركز الذكاء هو (المخ) . . . ومنه تنبع الأعصاب ثم تتوزع إلى الجسم .

د – وعن القلب قال انه يتركب من (خلايا رقيقة)
Minute Pores تتكون في القلب وتتوزع
خلال الأورده . . . ومن خلال الأرواح
الثلاثة .

هـ – وان الارواح الثلاثة هي :

١ – الارواح الطبيعية : *Natural Spirit*
وتنبع من الكبد . . . ويتم توزيعها على
انحاء الجسم بواسطة الأوردة .

٢ – الارواح الحيوية : *Vital Spirit*
تنبع من القلب ويتم توزيعها على الجسم
بواسطة الشرايين .

٣ – والارواح الحيوانية : *Anemal . SP*
وهي المختصة بالافعال العليا (كالاحساس
والشعور والعواطف) الخ .

كيف تعمل هذه الأرواح :

أولا : عناصرها الاساسية (الغذاء ، الهواء ، الكبد ،
القلب والمخ) .

ثانياً : العملية الحيوية وكيف تتم (أنظر الصورة) رقم (٥) .

ثالثاً : فوائدها وكيف تستخلص انظر نفس الصورة .

رابعاً : أما الفضلات وكيف يتم خروجها فسوف نعرف ذلك في سياق الكلام .

العملية الحيوية أو (الطبيعية) : VITALISM

١ – يُمتص الغذاء من الأمعاء ويصل إلى الكبد . . . وهي مسكن (الطبيعة) .

٢ – يقوم الكبد بأنضاج الغذاء . . . وهي عملية اتضح (تعقيدها) في العصر الحديث .

٣ – ومن خلال (عملية الانضاج) يخرج (البخار) الذي يتم تحويله إلى (روح طبيعية) . . . وهو مفهوم شعبي دارج إلى الآن .

٤ – يبعث الكبد بخلاصة (الروح الطبيعية) إلى القلب .

٥ – والقلب يحولها إلى (الروح الحيوانية) بعد أن يمزجها ويخلطها بالهواء القادم من الرئتين .

٦ — والروح الحيوانية تصل إلى الدماغ عن طريق عرقين ينقسمان قبل دخولهما (إلى عدة فروع) تشكل غشاء يسمي (المننجيس الغليظ) وفيه تتم عملية (تصفية للروح الحيوانية) .

٧ — ومن غشاء (المننجيس الغليظ) تتفرع عدة عروق دقيقة . . . وتنقسم إلى شعب رقيقة تشكل فيما بينها غشاء آخر اسمه (المننجيس الرقيق) وفيه يدور (الروح الحيواني) حتي يلطف ويرفق ثم يندفع إلى عروق الدماغ (وباقي اعضاء) الجسم . . . وتخرج فضلات الدماغ من (المنخرين) فيتكون (الروح النفساني) الذي يعزي اليه قوة الابصار (انظر الصورة رقم ٥) .

وقد ألف كتبا شملت ١٢٥ رسالة عن وظائف الاعضاء (١٧ ورقة) .

وعن النبض (١٦ ورقة) .

وعن العلاج (١٤ ورقة) .

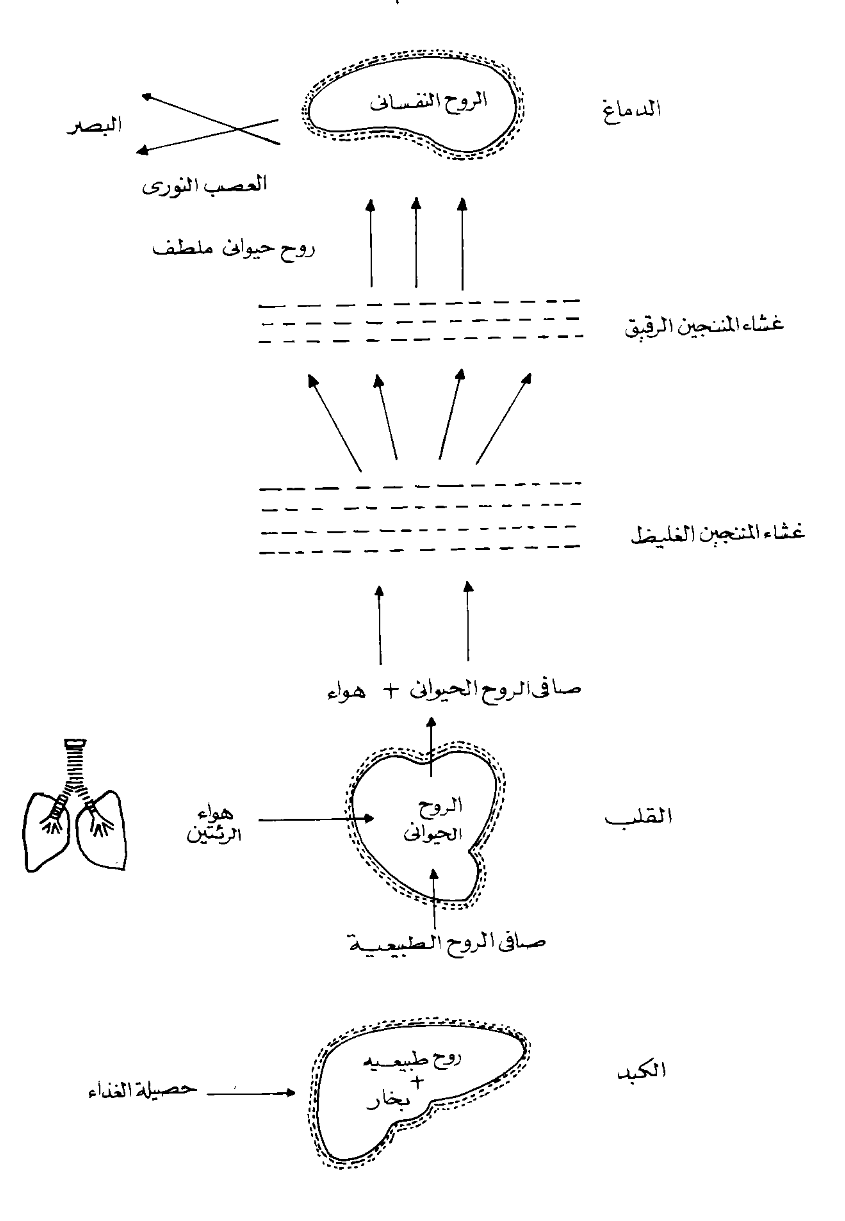
وعن الوبائيات (ستة ورقات) .

وعن الصيدلية (٣٠ ورقة) .

وعن اصناف الحميات (مقالتان) .

وعن كتاب (البحران) (ثلاث مقالات) .

صورة رقم (٥)



الدماغ
الروح النفسانى
البصر
العصب النورى
روح حيوانى ملطف
غشاء المنجين الرقيق
غشاء المنجين الغليظ
صافى الروح الحيوانى + هواء
القلب
هواء الرئتين
الروح الحيوانى
صافى الروح الطبيعية
الكبد
روح طبيعيه + بخار
حصيلة الغذاء

وعن أصناف التشريح

وعن الصوت (أربع مقالات) .

وعن الفهرست (مقالتان) واخري غيرها .

ورقة وواحدة عن (ممارسة الطب) .

Medical Practise

وعزز المفاهيم عن (الغذاء والتغذية) وخصوصاً بالنسبة للأطفال وطوّرها عما كانت عليه في زمن أبوقراط. وكلها أعمال قلبت المعايير والموازين القديمة .. وهو بلا شك (نوع جديد) من الأساليب الجليلة لمهنة الطب .. وأسلوب منظم رفيع ومعتبر ... وقد دام في مساره الفكري والعلمي إلى القرن الرابع عشر بعد الميلاد ... وعلى الرغم من كتابات (جالين) عن الغذاء خاصة . فقد كان يستمد معلوماته من مخلفات أبوقراط ... مع بعض التوسع في شرح القواعد الاساسية ... وخصوصاً في ميدان طب الأطفال وتغذيتهم ورعايتهم ... لا من حيث رعايتهم قبل الولادة أو بعدها فحسب ... وانما في مرحلة التّربية والرضاعة أيضاً ... فأضاف بعمله هذا مفاهيم جديدة وأنظمة جديدة .

حقاً لقد خرج هذا الحكيم على قواعد أبوقراط الأساسية ... اما تفسيرا واما تعليلا ... ومنها تفرغت

علوم الطب وتشغبت أمور الصحة والشفاء . . . ابتدأها بالتميز ما بين مسميات الامراض والأوبئة . . . وكانت مجهولة التعبير قبل عهده . (انظر الجزء الأول من هذا الموجز) .

١ ــ فقال في تعريفها : (على الطبيب أن يدرس علم التشريح كما يدرس المهندس تصميماته) . .

٢ ــ (وألا يسمي المرض وباء إلا إذا عاني منه جمعٌ غفير من الناس) .

٣ ــ أما إذا أصبح ذلك المرض قاتلا . . (فهو الطاعون) .

وتابعها أناس جاءوا من بعده . . . عدلوا المسار وصححوا الافكار . . . واضافوا إلى معتقداتهم أشياء جديدة . . . كانت (جديدة) بالنسبة لذلك الزمان . . فناقشوا مواقف (أفكارهم ونفوسهم) من تلك الأساطير والمعتقدات القديمة . . . وناقشوا (مواقفهم واحاسيسهم) مما كان يجري في مجتمعات تلك الأزمان . . . لا بالنسبة للجسم والحياة فقط . . . وانما توسعوا إلى (اعماق النفس واعماق الحياة واعماق البيئة) انتهي بهم الأمر إلى (سلسلة من الاراء) والنظريات قد تبدوا باهته الظلال . . . ولكنها

لابد وأن تؤدي إلى (حقائق الكون) . . . ما هو ذاك الكون ؟ . . . ومم يتكون ؟ . . . وما هي مادته ؟ . . . وما علاقة الانسان به ؟ . . . إلى آخر ما في تلك الحقبة من نشاط . . يختلط فيه الخطأ بالصواب . . . تري ما هي الاساطير ؟ . . . وما مفعولها ؟ . . . ولماذا وجدت؟ . . . ولماذا تحكمت بذاك الانسان البدائي الساذج ؟ . . . ولقد كنـــا في دور (المحاولات) لتفسير ظواهر الكون في الماضي . . . فأصبحنا في دور (الواقع) . . . وربط ما بين الحياة والموت معا . . . ولا وسيط بينهما . . . وكذلك الربط ما بين الفرد والمجتمع . . . ولا مرشد للآلهة بينهما . . فهو نفسه أصبح وسيط الخير والشر . . . ووسيط الفائدة والضرر . . . ووسيط الصحة والمرض . . . فتحول (الفرد الساذج) إلى فرد يحس ويشعر وهو (شبه عاقل ومفكر) . . وتوصل بأحساسه هذا إلى أن (الروح والجسد والفكر) يكمل بعضهما بعضاً . . . وظهرت له من الواقع خبرات وتجارب (كانت مخيفة في يوم من الأيام) . . . فإذا هي تدنوا منه بسرعة . وتقربه إلى فوائد الحياة والاستمتاع بها مهما كانت صعبة ومعقدة .

فمن تلك الانفعالات والتفاعلات . . . بدأت عمليات الشراب والغذاء وعمليات الطبيعة والاحياء . . . وعمليات الحواس وأعمالها . . . والعواطف وافعالها . . . وعمليات

البيئة الزراعية والتراب . . . والبيئة الحيوانية والاعشاب . . وبيئة المهنة والحرفة وضروراتها . . . ومن خلال تلك الأجواء الخليط تسللت حاجة الانسان إلى الدواء والشفاء . . منها ما هو مصدر ضرورة . . . ومنها ما هو مصدر دفاع وحماية (أمور وقائية) اعطاها المفهوم فقط . . . ولكنه لم يعطيها التعبير والمسمي . . . ومنها ما هو مصدر شفاء حقيقي (أمور اسعافية وعلاجيه) ولكنه لم يعطها الاسم المناسب أو المختص . . . فانتعشت نفسه وروحه وبدأ يعمل من أجلها الاعياد والاحتفالات السنوية . . . اما بضرب الطبول والنواقيس . . . واما بنفخ المزامير لها وتصوير التماثيل . . . واما بحرق البخور تارة . . . ورقص الرقصات والرياضيات البدنية تارة أخري وهكذا . . ولكنه كان يقصد من وراء ذلك شيئاً . . . (فكل شيء يؤديه له معني ومقصد) . . . وله مبلغ معين من الثمن يؤخذ ويعطي . . . حتي تسربت الجيوش إلى خارج الحدود . . . وبدأت الصراعات الجماعية بدلا من الفردية . . واختلطت أمور الحياة وتمازجت . . . فإذا هي أمام شيء جديد . . . من المؤكد انه واضح وأوفي وأنفع .

يقول الأستاذ (فان جيب) عن هذا الموضوع (ان الجنود المحاربة وقوافل التجار وبحارة الرقيق . . . ورواد التبشير . . كانوا ينقلون معهم اقاصيص بلادهم واساطيرها.

يستقبلها شعب . . . ويصد عنها شعب آخــر . . .
وقد يضيف لها شعب ثالث ما يتفق وذوقه الأجتماعي
وبيئته) فيخرج بمكسب جديد يأخذه . . ولكنه بالمقابل
يعطي شيئاً جديداً لمن جاءه من الزائرين .

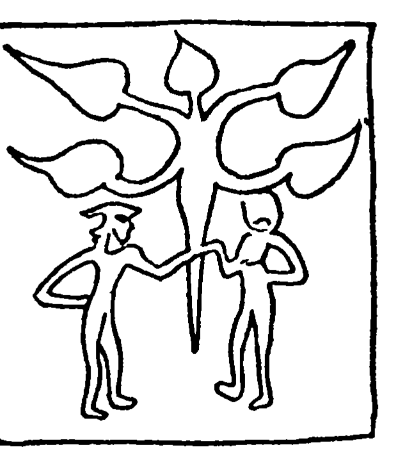
اما بالنسبة (لنفس الانسان) وكيف بدأت تظهر
أمام المدارك والأفهام . . . فأمرها يختلف من أمة إلى
أمة . . . ومن قبيلة إلى قبيلة . . . منها ما هو معتقــد
أسطوري . . . ومنها ما هو معتقد متوارث . . . ولكنها
(في الاساس والجوهر) لا تخرج عن الدين والكهانة
وكيف يتصل الفرد بالآلهة .

يقول الاستاذ (روجيه براستيد) عن هذا الموضوع . .
ان الهواجس التي كانت تدور في نفس الانسان على شكل
خواطر أو حدس . . . كانت عند الانسان المتطور هي
المهماز الحيوي) بين النفس البدائية والتفكير البدائي . . .
Primitive Thoughts وقد دلّ ذلك الحدس على أول خطوة
من خطوات التفكير الذاتي أو الباطني) . . . قد نتحدي
العلم والتاريخ فنقول . . . ربما كانت نوعية عند بعض
الأمم *Specific* وربما عامة عند البعض الآخر . .
فهذا يعود إلى الاختلاف في البيئة لا شك في ذلك . . .
ولكنه هو الذي كان يتحكم بالتخلف والتطور . . . وعلى





الأساطير القديمة المقدسة



هذا الأساس توسعت النفوس إلى (طلاسم) ورموز يعبر عنها بتعبيرات مقربة للتدليل والايضاح :

Extra Ordiuary Amulet

١ – فهناك النفس الخاصة مثلا . . . ما هي ؟ . . . ولماذا وضعها البعض في القلب أو الكبد أو أصبع القدم ؟.

٢ – وما هي النفس الداخلية . . . التي يتمثلونها على شكل عصفور أو فراشة أو غيرها ؟

٣ – وما هي النفس الخارجية . . . التي يتعتقدون أنها تدخل في تركيب نبات أو حيوان وما هي العلاقة بين النفس الداخلية والخارجية والخاصة والنفس الظل ؟.

٤ – وما هي النفس الظل . . . ولماذا يعتقد البعض بأنها تتجسم اما في نبات واما في حيوان . . . يتشفي عدوه منه (إذا داس) على ظله ؟:

لا شك انها تصورات وسلوك . . . أو ردود فعل (مكبوته) ومشاعر داخلية في (ذات الانسان) تحتاج إلى تعبير وتصوير (« ذلك الزمان) اما اليوم فقد أوفاها (علم النفس الحديث) حقها من البحث والتوضيح واجتمع الفكر مع الروح . . . واطبقت النفس بالبدن . . . وبدأ الانسان يبحث عن (مكمن السعادة والألم) . . . بدلا

من الخير والشر . . . وبدلا من الحياة والخلود وهي ناحية (صحية) تدل على فهم سليم وفطرة سليمة ما في ذلك شك . . . ولكنه لازال يبحث عن أمور وامور . . . وعن المرشد والمصلح أولا . . . والمشرع والمنظم ثانياً . . . والمفكر والمعلم ثالثاً . . . وان كانت قد اجتمعت كلها في (فرد) واحد . . . أو مجموعة أفراد . . . كما كان الحال مع (زرادشت وكنفوشيوس وبوذا) في الحضارات الشرقية القديمة . . . وكما كان الحال مع سقراط وارسطو وأبوقراط . . . في الحضارات القدينة الغربية . . . ألا أنها لم تكن ابدا في معزل عن (العقيدة الدينية) ورسالات السماء .

١ – فقد قال أولئك الحكماء عن الكون وخالق الكون . . . اشياء روحيه كثيرة . . . لا لتربية الروح والجسد فقط . . . وانما لترويض النفس وتلمس أسباب السعادة (في الذات نفسها) . . . فوجد من يقول (أعرف نفسك بنفسك) بدلا من أن تعتمد دائماً على الآخرين .

٢ – ووجد من يقول بأن (المعابد والهياكل) لا تملك التهديد والوعيد . . . وانما الذي يملكها هو خالق الكون ومصدر الجمال والخير والحياة .

٣ – ووجد من يقول (ليس كسب المال والثروة)

هي السعادة ... وليس التقشف وليس الشفوف هي الرحمة والمغفرة .

٤ — فالتطلع إلى عظمة الكون وعظمة الخالق ... لابد وان يبحث عنها المخلوق في (ذاته) هو ... وفي ما حوله من ظواهر الطبيعة في البحر والبر والسماء .

٥ — ولا يتم ذلك الا بمزج العقل والروح والبدن في عملية التفكير والتبصر واستعمال الاحاسيس .

٦ — وجاء بعدهم من يدعو إلى اتباع الحقائق بالدليل والبرهان .

٧ — فشكلوا جماعات للدرس والتقضي ... وبنيت مدارس للبحث والتعليم ... وبدأت أمور الحياة تتشعب. . وأمور الانسان تتفرع .. ولكنها لم تخل من (الغث والخبيث) ولامن الطيب والسمين .

٨ — فلم يقتصر البحث والدرس على مشكلة واحدة كما كان الحال في الماضي ... بل شملت كل ضرورات الفرد ... وكل ضرورات الحياة ... وكل ضرورات المجتمع والمحيط .. وانتشرت (رياضة النفس) إلى جانب رياضة البدن ... ودخلت الفنون والموسيقي إلى الميدان ...

عرف منها ما يشفي وما يعل . . . واختلطت الصحة بالمرض . . . وامتزجت الأساطير والشعوذة بالدين والكهانة وأمور الشفاء . . . ولكن ذلك لم يقف دون تقدم العلم . . . العلم الذي بدأ من اليونان . . . وانتقل إلى الاسكندرية . . . ومنها استفادت روما وأمبراطوريتها من أمثال :—

تاميزون اللاذقي :

وتلميذه اسكاليبياس . . . أوجدا مدرسة النهج أو (الحيلة) *Methodical* وأول من بحث في الامراض العقلية وجرّب الرياضة والموسيقي في علاجها وكان من مبادئهم انهم تجنبوا نظرية الأخلاط (في الحيوية) وأدخلوا معها الطبيعة في تكوين البدن والنفس . . . واخرجوا النظرية (المسامية) . *Minute Pores*

سيلـــــوس :

صاحب أول مؤلف لا تيني عن الطب والعقاقير :

روفسيس وديسوقريدس :

صاحب علوم النبات . . . انتهج نهجاً جديداً في (الحيوية). . . اطلق عليها اسم(الأختياريه) . *Eclectics*

جميس الصيداوي :

اشتهر في روما بالجراحة . . . وركز على جراحة النواسير .

كاتو الـــرومي :

عمل في الجيش والسياسة والزراعة . . . وألف كتابا عن الزراعة وأمراضها والحيوانات وآفاتها . . . وعن الحمامات الساخنة وفوائدها . . . والعسل ومفعوله في طرد العفن عن جثث الموتي الخ . . . وكان مشهوراً بعدائه الشديد للأطباء من اليونان . . . وقد أوصي أحد ابنائه بنشر ذلك .

فــــــارو :

أعاد فكرة وجود (أجسام صغيرة ومجهولة) حولنا. . وهي السبب في نقل العدوي بين الناس . . . ولكنه لم يحددها بالتمام .

انطونيوس موسي :

عميد طب (الطبيعة) والحمامات الباردة . . . وقد استفاد وافاد من مركزه العالي وقربه من الامبراطور أغسطس.

فيـــتروفيس :

مهندس. . ألف كتبا في فن العمارة . . ولكنه أدخل (الصحة كجزء من البناء) . . . نقل عن قبائل الألب (أسباب أورام الغدة الدرقية) وانعدام (معدن اليود) فيها . . . ولكنه لم يحدد ذلك كما استبعد (أنابيب الرصاص) في نقل المياه إلى الناس لماتسببه من اضرار صحية في أجسامهم.

وقد استعمل (الشموع) في اختيار (الآبار العميقة) قبل نزول العمال اليها .

نيكاندروس الكلوفيني :

كتب نثرا وشعرا عن (السموم) وآثارها . . ونشر ذلك على المزارعين والاطباء وعلماء الفلك . . وكان أول من اشار إلى فوائد (العلق الطبي) في الفصد .

هيليــو دوراس :

في جراحه مجاري البول . . . والفتق .

الاسكندر الطرالي : *TRALLE*

أول من وصف ديدان البطن وصفاً مفيدا . . . وأول من استعمل الرواند في العلاج .

بولص الأوجيني :

تفرغ لجراحة المثانة واستئصال الحصوات . . . وكذلك لجراحة واستئصال اللوزتين .

دي جيفنتــوس :

ألف كتاباً عسكرياً *De Re Militaire* أشار فيه إلى أسباب تلوث (ماء الجيش) من المستنقعات وماكثرة وجود الجيش حول مصادر المياه الا سببا من أسباب انتشار الأوبئة والأمراض .

وقد كان قبلهم أبوقراط ومدرسة الاسكندرية (وجالين) ومدرسته الطبية . . . وإذا بالجسم البشري عندهم فكرة أخري . . وإذ بتركيبه أمر جديد :-

١ - الفحص العام للجسم كله . . . والعلاج العام . . وحلف اليمين للاخلاص .

٢ - تفهم الحالات المرضية . . وابعاد الخلل بعد فهمه . . . وحفظ التوازن الطبيعي ما بين (السلامة والخلل) المبني على النظريات الجديدة في ذلك الوقت .

٣ - فكلما أختل (ذلك التوازن الطبيعي) اختلت معه (اخلاط الآلات والأعضاء) الداخلية وأمزجتها ***Humorus*** ولم يستبعدوا القول بمؤثرات الغذاء ولا تربية المحيط للمرض والمريض . حيث وزعت إلى (امراض موسمية) وأمراض شخصية فردية .

٤ - وقد توزعت تلك (الاخلاط) في زمانهم إلى عدة مستويات . . . فأما اختلال موقت (وهو ما يطابق المرض الحاد عندنا) . . . واما اختلال دائم (وهو ما يتفق والمرض المزمن حسب التصنيف الحديث) .

٥ - أما عمليات الشفاء وطرائق السيطرة على (توارن الجسم الطبيعي) لكي لا يختل أو (لاعادة) الوضع غير

الطبيعي إلى ما كان عليه . . . فأمور يخص الحكيم أو الطبيب في أن يستبقيه في المعبد أو يعوده في البيت .

٦ — وتأسست مدرسة (المداواة الطبية الكيماوية) *Iatero Chemistry* أن واصلوا إلى هذا المقدار من العلم والفهم والادراك .

٧ — وبدأت بوادر البحث عن (الروح) واساسها وأصولها . . . وإذا بها كما قال الفيلسوف الضاحك (ديموقريطس) ذرات صغيرة ملساء مكورة سريعة الحركة . . . وتحديد كل مادة (حسب تركيبها . . . وحسب نوع العمل الذي تؤديه) اما روحا واما عقلا واما نشاطاً .

٨ — اما حالات الصحة والمرض .. فقد تطور المعبد من أجلها إلى ما يشبه (المستشفي) لا في حالات الدخول والخروج فحسب . . . وانما في أساليب الفحص وكيفية طلب الشفاء بعد الفحص .

٩ — ودخلت وسائل الشفاء (بالعلاج الطبيعي) اضافة إلى ما كان قائماً مع الأعشاب والمواد الكيماوية .

١٠ — ومن طرائق الفحص واسلوب التعامل مع المرضي بدأت بوادر (احصائية) بدائية جداً عما كان

كامناً في تلك المجتمعات من آفات وأمراض وان كانت المعلومات عنها (باهتة الظلال) . . . حقاً لقد كانت باهتة الظلال . . . ولكنها حددت معالم (الصحة والمرض) عما كانت عليه فيما سبق من زمان .

فمن فحص دماء الأغريق عرفت (آفات فقر الدم ونقص كمية الحديد) مثلا (*Hyboferric*) اما تبعا لنوع الغذاء الذي كانوا يتعاطونه . . . واما إلى انواع الحركة والنشاط التي كانوا يمارسونها أو نوعية (الديدان والحشرات) التي كانت تعيش معهم بين الخيل والكلاب والحيوانات الأليفة والمفترسة . أما نقص (اليود) وتضخم الغدة الدرقية فما هو الامرض من الأمراض يؤكد (نوع الارض التي كانوا يعيشون فوقها) . . . وإلى نوع الاعشاب والاطعمة التي كانوا يتناولونها .

وقفزت إلى السطح اختصاصات معينة في بعض علوم الطب (الجديد) امثال الحكيم (بولس آجي نيتا) في طب العيون . . . ألف موسوعة طبية من سبع مجلدات . . . وهو صاحب فكرة جديدة ايضاً . . . لقد كان يقول (لا يوجد علم اسمه الطب الروماني . . . فالطب يوناني يمارس في روما) . . . ويقول (جالين) لا نسمي المرض

(وباء) إلا إذا اشتكي منه جمع غفير . . . اما إذا تحول
إلى وباء قاتل . . . فهو الطاعون .

وكانت الحجامة باقية كطب بدائي *Cupping* كما
هو الحال مع الفَصْد ايضاً *Venescteiun* أما تدليك
الاطراف والحمامات الساخنة فقد زحفت اليهم من الشرق
عن طريق (آسيا الصغري) وبانت (لشلل الأطفال) معالم
باهته ايضاً . . . على الرغم من أنه كان موجوداً منذ عهد
الفراعنة . . . وتغيرت مع اكتشافات معالم التشخيص . . .
تبناها حكيم جديد هو (بولوص الأوجيني) مثل :—

١ — حمـــي .
٢ — يتبعهـــا ألم .
٤ — ثم شلل في الأطراف .
٤ — أدى هذا التشخيص بدوره إلى (التشخيص
المميز) فيما بعد *Diffirential Diagnosis*

أما الكساح عند الأطفال . . . والدرن عند البالغين . .
فلم يشاهد في حضارات الشرق القديم . . . قد يكون
جهلا . . . وقد يكون حقيقة . . . فالمتطلع إلى حياة تلك
الأمم (المعيشية) يجدها لا تفتقر إلى (المواد الغذائية)
بجميع انواعها . . . وما ظهرت تلك العيوب أو تلك

الامراض إلا بعد أن أتخذت تلك الأمم (من المدن والاستقرار) طريقة لحضاراتها وتمدنها . . . وما مميزات ذلك المرض إلا وهن أو ضعف في (الابدان النحيلة) التي قد تفتقر إلى اللحوم وتعتمد على الاعشاب . . ولقد أثرنا في الجزء الأول (مفعول اللحوم) على قوي البدن كلها . . . جسميه ونفسية وعقلية . . . ورأينا كيف أن الشعوب المتجولة لا تتعرض إلى مثل هذا النوع من الامراض .

أما عاهات العظام والجماجم فأمرها مألوف منذ القدم . . . وقد عالجنا أمورها في أحاديث سابقة . . . ولم نجد ما يستحق الذكر بالفعل . . . الا موضوع (المضاعفات) التي بدأت تتطور إلى الأسوء لسببين اثنين :—
السبب الأول :

انعدام الاسعافات الأولية (الفعالة) اللهم الا ماتوارثوه من طب محلي (شعبي) قد يخطىء وقد يصيب .
والسبب الثاني :

حياة الراحة والرخاء التي تتصف بها حياة المدينة قد تكون سبباً غير مباشر من أسباب تلك المضاعفات . . . مثل : التهاب المفاصل *Arthritis* والتهاب السمحاق *Peri Ostitis* والتهاب العظام *Osteomylitis* أوالتهاب الجهاز العصبي (كالشلل) بأنواعه .

ثقب الحنجرة
لأنقاذ المصاب

وكان أبوقراط قد أدخل نظام الأسعاف الأولى دون أن يخطط لذلك . . . فقد بدأها باسعاف حالات (الاختناق) التي كثيراً ما كانت تحصل . . . وذلك عن طريق أدخال الهواء (عن طريق القصبات في البلعوم) وايصال الهواء الموجود خارج الرئتين إلى داخلها وبالعكس . . . وكأنه بعمله هذا . . . قد خطط لعمليات (فتح القصبات الهوائية) المتبعة حالياً *Tracheotomi* والتي تطورت إلى شكلها الحالي ولكن بصورة بدائية . . . في عهد الرومان الذين أخذوا علومهم من حكماء الاسكندرية واليونان . . . مثل (اسكليبياديس) وآربتيوس الذي كتب ورقة عن هذا الموضوع ذكر فيه فوائد (التدخل المباشر) لأنقاذ الأصابات . . . اما الحكيم (آنتيلوس) فقد أبدي تفصيلات أكبر . . . حيث ذكر (مبررات العملية الجراحية) *Indicatoin* كما زاد في عدد الآلات الجراحية (من المعدن) لأدخالها بين غضاريف القصبة الهوائية . . . ثم (سورانوس) في روما الذي جدد في أسلوب (ممارسة المهنة) عما كانت عليه . . . واطلقوا عليها اسم (المدرسة العلمية) حيث نظمت فيلها دراسات مختلفة عن أمـــور (النظافة وصحة البيئة والتمريض والتغذية ورعاية الطفل وقبالة النساء) .

وما يخص (صحة البيئة) فقد ادخلت على أنها

(أمور هندسية) تتعلق بتصميم المباني وجمالها . . . بدأت مع الاستاذ (فرونتينوس) *Frontinus* في القرن الأول بعد الميلاد ولقب (بمهندس المياه والمجاري) طبع لها عدة تقارير وآراء وتصاميم . . . ادخلت أساليب جديدة على نظافة الرومان العامة . . . وقد كانوا مزهوين بمـــا يؤدونه من نظافة (شخصية) أخذوها مع أدوات الزينة من الشرق وأفريقيا *Personal Hyhiene*

١ – حيث كانوا يصففون شعورهم ولحاهم بأمواس من حديد ؛

٢ – ويستعملون مبارد الأظافر من الحديد كذلك .

٣ – ويستعملون المقصات من الحديد أيضاً .

٤ – والدهون والعطور والشعور والملابس وتقليم الأظافر .

أما أول موسوعة طبية تاريخية . . . فقد جاءت على يد الاستاذ (مورنيليوس وسيلسوس) اعطاها لقب (الشفاء) *De Re Medica* على الرغم من أنه لم يكن طبيباً وانما كان رجل ثقافة عامة يبحث في أمور الاغريق واعمالهم وتطورهم .

وكانت الافكار المتداولة عن (الروح) قد تبلورت في معتقدات ثلاثة :ـ

١ ـ الروح الطبيعية :
تنبع من الكبد وتتوزع إلى انحاء الجسم بواسطة الأوردة .

٢ ـ الروح الحيوية :
تنبع من القلب وتتوزع إلى الجسم بواسطة الشرايين .

٣ ـ الروح الحيوانية :
وهي المختصة (بالاعمال العليا) من الاحساسات والعواطف أما المعتقد الجديد عن (القلب) . . فأنه :

١ ـ يتكون من مراكز دقيقة جداً *Minute Pores*

٢ ـ وتتوزع هذه من خلال الأوردة إلى (الارواح الطبيعية) المذكورة .

٣ ـ تمر من البطين الأيمن إلى البطين الأيسر . . .
حيث (تمررها) الأرواح الحيوية .

٤ ـ ويتحول الدم الشرياني بواسطة الأرواح الحيوية هذه إلى أرواح حيوانية في المخ *Vital Spirit* وبواسطة الأعصاب توزع إلى انحاء الجسم كله

وكانت امراض العيون وطب العيون تمارس على انها نتيجة من نتائج الحروب والغزوات . . . فتطورت إلى مفاهيم جديدة . . . أدخلت الاعتبار الخلقي) والتشوهات الخلقية كشيء جديد... كالحول بأنواعه مثلا*Strabimsmus* (*Sqsint*) وقد ذكره (جالين) في مدرسته الكيماوية :
Para Celesian School of iater Ctiemestry

أما عن (علوم الموسيقي) فقد أخذت من الطبيعة الحرة منذ القدم . . . أخذت من الطيور وغزل الحيوانات الأليفة ما بين الأنثي والذكر . . . وتظفر المعتقدات الصينية عن هذا الموضوع بالمقام الأول . . . حيث ظهرت كوسيلة من الوسائل الناعمة (لنوم الطفل) الهاديء وغير المزعج *Chinese Craddle* أو ما نسميه حالياً (*Lullabies*)

ويذكر تاريخ الطب القديم واستخراج العقاقير عن (أهل جزيرة فولوس) في اليونان انهم أول من أدخل (الزمر والألحان) في الشفاء لازالة آلام البدن والأكدار . . وكانوا من المنافسين لسكان جزيرة (كوس) في أمور الطب وطرائق الشفاء .

ولكن قبل أن نخوض في هذا الموضوع . . . أرغب مخلصاً أن أوفر للقارىء الكريم ثلاثة أمور :

الأمر الأول :

صورة مصغرة لما كانت عليه شؤون الصيدلة في الحضارات القديمة الشرقية ،

الأمر الثاني :

كيف تم التمازج والاختلاط ما بين الشرق والغرب . . حتي ظهرت (الصيدلة والعقاقير والسموم) بشكل يختلف عما كانت عليه في الازمان الغابزة .

الأمر الثالث :

كيف استحالت وكيف تطورت في ظل عهود الاغريق والرومان . . . وكيف بدأت على يد فلاسفة وحكماء وباحثين (معلومين ومجهولين) معا .

فلقد كتب الكثيرون من العلماء والاطباء عن هذا الموضوع . . . ولكن وجهات نظرهم كانت مختلفة من حين لآخر .

١ – فتجد فئة منهم تنتهج نهجاً خاصاً في ناحية معينة . . . وهو شيء جميل . . . ولكن من عادة الشيء المحدود ان يركز على نواحي . . . ويهمل نواحي أخري . . وبالأخص ما ندعوه بالروابط (المكملة) للمواضيع والتي قد تصيب واقعية الموقف بالاهتزاز . . . الأمر الذي ينعكس

على القارىء فلا يدري أي سبيل صحيح هو . . . وأي نهج خاطيء قد ينهج .

٢ – وفئة ثانية قد تنهج في معالجتها للمواقف نهجاً عاماً . . . يربط ما بين الازمان والاحداث . . . ولكنه لا يخلو من ثغرات . . . أما زمنيه واما موضوعيه . . : وهو أمر شائك ومعقد لا أعتقد أبدا أن ينجح في حلها (أحد) وان بدت بسيطه لأول وهله .

٣ – وفئة ثالثة تنتهج نهج (القفزات) الزمنية أو الموضوعية . . . اما متعمدة واما عاجزة . . . وساعتها ستصاب نشوة الموضوع بالخيبة ما في ذلك شك .

ومهما يكن من أمر فان القصد واضح . . . والغرض نبيل . . . وان اختلفت السبل والمناهج . . . تاركين لذوي الفطنه والفهم العالى أن يستخدموا مداركهم وعقولهم للأستنتاج واستخلاص الحقائق والفوائد بأنفسهم وان تعرضو للمشقة والعناء .

وقد كتبنا في (المجلة الطبية السعودية) مقالة عن العقاقير وامور الصيدلة في الحضارات القديمة جاء فيها :

١ – تقول نشرة (لليونيسكو) عن هذا الموضوع ما فحواه : (لا نستطيع أن نقول بوجود علم محدد للطب

والعقاقير . . . وانما هو نوع موروث من الاستعمالات الشعبية أساسه الخبرة والتجربة .

٢ ـ ويقول الأب الكهنوتي الدكتور شحاته القنواتي ما مضمونه :

أ ـ كان الانسان البدائي يحاول تقديم القرابين لتهدئة النفوس الشريرة والخبيثة . . . وقد يتعداه في بعض الأحيان إلى تقديم قرابين بشرية .

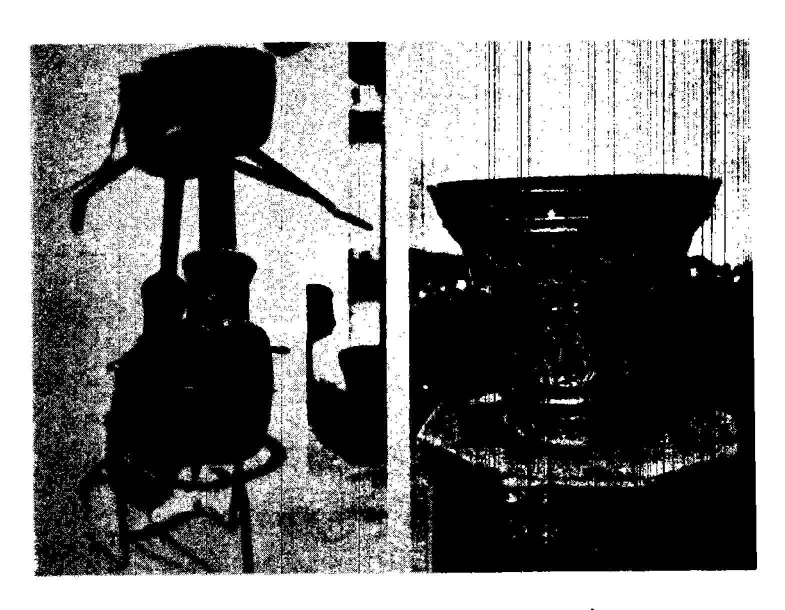
ب ـ ويقول لقد وصل الينا عدد كبير من الوثائق الخاصة بالطب منقوشة على الواح من الطين وهي ثلاثة بيانات :

٣ ـ اما بيانات خاصة بقوائم الأعشاب الطبية المتداولة.

٤ ـ واما عن مجموعة من الوصفات العلاجية مرتبة حسب العضو المريض أو المصاب .

٥ ـ واما خاص (بمناقشة تشخيص الآفات والتنبوء بهـا) .

٦ ـ يقابلها من الطرف الآخر (وصفات) مبوبه إلى ثلاثة أعمدة :



بعض من أدوات الصيدله وصنع العقاقير أو تركيبها

أ – العمود الأول . . . يذكر فيه اسم الشعب
أو النبات .

ب – العمود الثاني . . . يذكر فيه اسم المرض
الذي يعالج به .

ج – العمود الثالث . . . طريقة الاستعمال . .
في درجة حرارة مناسبة. . . وعددمرات
الاستعمال . . اما في الليل أو في النهار.

٧ – ويقول أن عدد الوصفات المعمول بها في (وقتهم) يقارب المائة والخمسين وصفة . . . ليس فيها من رواسب الماضي والعقائد القديمة (حسب قولهم) إلا وصفتان . . . وهو أمر يثير الأنتباه . . . يثيره إلى (شعورهم) بأنهم يتطورون في ذاك المضمار . . . وان الاحساس والشعور (بالتجديد) والانسلاخ من القديم ما هو الا اسلوب قد وضعوه في الاعتبار فعلا . . . وهو شيء يويد ما ذكرناه عن تطور الطب والصيدلة والشفاء (تطورا تدريجياً) أخذ من الوقت عصوراً لا بأس بها .

٨ – ويقول الأب الكهنوتي (أيضاً) . . . بأن الوصفات العلاجية التي كانت تعطي إلى المريض طالب الشفاء . . . لا تقتصر على وصفة واحده (لكل مرض) . .

بل عندهم ما نسميه (بتعدد الوصفات) للمرض الواحد . .
ثم أختيار المناسب منها . . . يستعملها المريض تباعا (وعلى
سبيل التأكد) *Test Core* وكلما فشلت واحده
يستبدلها بما بعدها وهكذا .

٩ – وكانت أمور التغذية وطرائق الحميه مألوفه
في تلك المجتمعات القديمة . . . وخصوصاً فيما يتعلق بالنساء
وحملهن وأمراضهن . . . فأضطرابات الحيض كانت
(علامة من علامات الاستفسار) . . . ومثلها مضاعفات
الحمل أو مضاعفات الولادة . . . فما نجحوا في شفائه
(يكون عرفاً) . . . وما فشلوا فيه يدعوه إلى أن يجربوا
غيره .

١٠– ويذكر الباحثون عن وجود لوحة من الطين
في (جامعة بنسلفانيا) يعود تاريخها إلى القرن الحادي
والعشرين ق.م مكتوب فيها وصفات علمية قديمة (اما
من الخضروات واما من الحيوان واما من المعادن) ولكنها
لا تخلو من عمليات السحر والتخويف .

Acasia	*Skwof*	*Skinof*	*Potssivn*
Asaphiiidv	*Birds*	*Snakes*	*Nitrate*

١١– وكان المختصون بهذه العقاقير من أطباء
ومشعوذيين وصيدلانيين (يدخلون عليها) بعض التحسينات

(المقبولة) من المريض ... كالاعشاب ذات النكهة الزكية ... أو الأثمار ذات المذاق الحلو ... ولكن التركيز كان على العكس من هذا ... فكلما كانت نكهة العلاج أو العقار كريهة كلما كان (اعتقادهم) هو للشفاء أقرب ... فهم يتصارعون مع أمراض خفية وأرواح خبيثة ... لا تطرد من جسم الانسان إلا بكل شيء كريه ... وهو صراع (مع النفس) ما كانوا يقصدونه أبدا ... ولكنهم أخذوه من الخبرة والتجربة ... يدخلون على تلك الوسائل (مؤثرات نفسية) ترغب الناس على الاقبال ... وتشجع الأرواح الخبيثة على الصدود ... إلى أن جاء عهد الاغريق الاول والثاني ... وجاء عهد الاسكندرية والرومان ... وبدأت حركات (الفكر والمفكرين) ... واضافت إلى اعمال البدن أشياء جديدة .ن تعاونت كلها لصالح سعادة البشر نفسياً ... واصلاح بدن الانسان صحيا كما سوف نري .

وظهرت عهود جديدة ... بدأت فيها (براعم) الفكر الحقيقي تنمو ... وصراعات الفلسفة والعقلية (والتشريعية) قد بدأت تزحزح القوي البدنية (العسكرية من اماكنها ... ظهرت على شكل (هواجس مختلطة) .. وتساؤلات مشوشة ... تحولت فيما بعد إلى اصرار على (معرفة الحقائق والاسرار) ... حقائق الحياة ...

حقائق الانسان . . . حقائق وجوده . . . ووجود الكون . .
الماء والهواء . . . الارض والسماء والمادة ما هي ؟ . . . مم
تتركب ومن اين مصدرها . . . الخ . ؟ . وأهتزت (كيانات
العقائد الروحانية) . . . وبدأت تتراجع امام هجمات العقل
المتتالية . . . واستفاد العالم من ذلك كله . . . بما في ذلك
(الطب والعقاقير وصحة الانسان) . . . وان لم تسلم
أبدا . . . من الاهواء والانتقام . . . ومن الغايات
والمؤامرات . . . ولكنها قد نجحت . . . وكانت دائماً
إلى التطور أقرب .

هناك أسطورة أغريقية تقول . . . ان جماعة من ابناء
الشمس كانوا يحكمون بلادا مسحورة في شمال اليونان
يقال لها (كولشيس) . . . وكان أبيتس وبيرسيس
أخوين . . . اما (هكيت) فكانت أبنة للأول . . . تزوجت
ه من الثاني فأنجبت أبنتين . . . (ميديا وسيركا) .

وكانت الأم قد أوتيت (علم الاعشاب والسموم) . .
وورثت (ميديا) منها تلك المعرفة . . . استطاعت بحكمتها
ودهائها ان (تخدر) التنين حارس الجرة الذهبية في تلك
البلاد المسحورة . . . فسيطرت على (جيسون) سيد ذلك
الحارس . . . وسخرته لتنفيذ مآربها .

وأسطورة أخري تقول . . . ان الأله (زيفس) قد

أرسل إلى (ابي مي – يتوس) عروساً بارعة الجمال اسمها (باندورا) . . . وكان من مميزاتها التجسس وحب الاستطلاع ولا تقوي على رد نفسها من معرفة المجهول . . . أهداها زوجها صندوقاً رائع الصنع من الذهب الخالص . . . وحذرها من فتحه . . . وغاب الزوج . . . فلما دفعها حب الاستطلاع إلى معرفة ما فيه . . . فتحته بحذر فاذا بأرجال من الحشرات تنطلق من داخله فجأة . . . وهاجمت تلك الحشرات زوجها وأصحابه . . . فتولدت في اجسامهم (من سمومها) احقاد الريبة وشكوك الخوف. . وبينما هما يختصمان إذ انطلق من داخل الصندوق صوت خافت يقول (أطلقاني فأداوي منكما كل ألم) . . . وأطلقا ذلك الصوت من داخل الصندوق . . . فاذا هي (فراشة زاهية الألوان) ما أن حطت على اجسام المتألمين الا وقد شفوا تماماً .

من هاتين الاسطورتين (فقط) تتضح لنا عدة أمور حيوية . . . ونفهم منها عدة أوضاع اجتماعية منها ما يتعلق (بالفضيلة والأخلاق) . . . ومنها ما يتعلق (بالدواء والشفاء والامراض) . . . ولكننا لا نعلق على أي منها بشيء . . . اللهم إلا بشيء واحد فقط هو فنظرة العبور من الشرق الي ومصر وإلى الغرب .

فالتاريخ يقول . . . بأن تسرب العقاقير والسموم . . . سواء عن طريق السحر أو العبادات . . . وسواء أكان من مصر أو الكنعانين أو بلاد ما بين النهرين . . . فالحقيقة واحدة . . . وهي ان (الموسويين) كانوا هم المسيطيرين على هذه السموم والعقاقير لا لكونها (تجارة أو اقتصادا) . . . وانما لأنها محور السلطة والجاه والمؤامرات. . . فبراعة الموسويين في هذه الامور (ماكانت) منذ عهد العرب كما يظن المغالطون . . . وانما كانت منذ آواخر ايام الاغريق الذين يكرهونهم . . . ومنذ عهود الرومان الذين لا يرغبون بوجودهم . . . ومنذ عهد الفرس وزرادشت والمازديين الذي ساعدوهم في تدوين (أسفارهم المحرفة) من التوارة . . . وعندما جاءت لهم المسيحية برسالتها السماوية . . . أذهلوا وصعقوا لا عن طريق تسخير الحكام والقواد والتجسس . . . وانما بتسخير الشعوب عن طريق أمورهم الحيوية الحساسة والتي تتحكم فيالنفوس والعقول والاجسام والارواح مثل المعتقدات . . . والتجارة . . . وكل العلوم الفكرية والعقلية . . . بما في ذلك علوم الطب والعقاقير والسموم .

مدخل إلى المجتمع العربي قبـــل الاســـلام ؟

موضوع واسع وشائك . . . غويط وعميق . . . فهل ترانا نقدر على الاختصار ؟

أولا — لا أريد أن أمر على هذا الموضوع الحيوي مر الكرام . . . فالوقت مناسب جدا لطالب العلم والمعرفة . . وهو مناسب جدا لصانع البحث وعلوم الاجتماع . . . وخصوصاً أولئك الذين ينحرفون مع التحريف بدون روية أو تبصر .

ثانياً — ان الذين يتابعون هذا القول . . . سيتذكرون ما قيل عن الرسالات السماوية كلها . . . وما قيل عن علاقتها بعقائد الأمم وروابط الاخلاق والسلوك .

ثالثاً — وسوف يذكرون أكثر . . . ماقيل عن تلك (القوي الخفية) وما وراء الطبيعة . . . وما قيل عن المعتقدات ومروجيها . . . وما قيل عن العلوم واصلاحها أو تحريفها . . . وكيف تجددت . . . وتطورت ومنها مهارات الفكر والتمييز .

رابعاً — ولقد قلت في سياق ما ذكرت . . . من أن المؤرخ أو المصلح أو الباحث أو صاحب الفكر . . . لابد من أن يمر بمصاعب ومشكلات . . . (من مساوئه) انه لا يبالى . . . ومن محاسنه انه يصبر . . . وعلى الخصوص في أمور الثقافة الاجتماعية العامة (كالصحة والمعرفة) .

خامساً ـ فهناك قواعد عامة . . . استمدها المؤرخون والباحثون من تجاربهم العديدة :

أ ـ الانحلال لا يدب في أمة من الأمم إلا إذا بدأ الانحلال في الاخلاق والسلوك .

ب ـ والانهيار لا يتسلط على حضارة من الحضارات . . . إلا إذا سري ذلك الانهيار من خلال الافراد المثقفين والاسر ذات العلم والمعرفة .

ج ـ اما عن العرب في الجاهلية . . . فلنا رأى آخر سوف نعرفه من خلال السطور المقبلة . . . ولكن شيئاً من الصبر والملاحظة والدقة . . . يجب أن يتوفر . . . وحسبنا من ذلك دليل وبرهان .

فعودة خاطفة إلى الوراء . . . سوف تعيد لنا شيئاً من (التوازن والانسجام) ما بين كل الحضارات الجديدة منها والقديمة . . . لا عن قصد وفهم ولكن عن ادراك ويقين . . سننتقي ذلك التوازن كما ينتقي المعلم تلاميذه . . . وننتقي ذلك الأنسجام كما ينتقي الطبيب حالاته . . . معززة بالأسماء . . . ومؤكدة بالدليل . . . وهو أول أسلوب جامع يتخذه انسان يتطلع إلى سبر أغوار الماضي واستخلاص الفوائد العملية منها .

فلقد قلنا بأن أمة الأغريق قد غيرت بفهمها الجديد وادراكها كثيراً من العادات القديمة والتقاليد الموروثة . . . بل وأوجدت إلى العالم والبشرية كثيراً من الاراء والافكار والنظريات . . . حددت بها مسار الثقافة والعلم وتميزت عن سواها بالحركة والنشاط (على مختلف انواعه والوانه) :—

أولا — ولقد حاربت وقاتلت من أجل تلك المبادىء والاسس الجديدة . . . ثم تحركت وانتشرت لا من أجل السياسة والجيش . . . وانما من أجل العلم والمعرفة . . . وفي كل الجهات . . . مع الفرس . . . مع الروم . . . مع الكنعانين مع المصريين الخ .

ثالثاً — وإذا كانت قد فشلت في جانب . . . فأنها قد نجحت في جوانب متعددة . . . حتى إذا ذابت (قوي تلك الأمم) انهارت وانتهت . . . ولكن أمة الأغريق قد بقيت . . . بقيت في تاريخها لكل العالم . . . بقيت في حبها للعلم وبقيت في حبها للسلام .

رابعاً — وكانت شعوب شبه الجزيرة العربية موجودة على سجيتها . . . على طبيعتها تسير و اثقة على تلك المسارات مع العادات الثابته والتراث الصامد . . . تترقب ثم تأخذ . . وقد أعطت وكأنها مع التاريخ امتداد لتلك الحضارات

القديمة . . . بقيت وفرضت وجودها على العالم . . . وبقيت لها امجادها . . . وأصالتها . . . وقوة تماسكها لعدة أسباب :ـ

أ ـ المجتمع العربي في الجاهلية لم تتغير سسمات (الشرق) فيه أبدا وأخلاق الفرد العربي كانت ثابتة وقوية . . . لا لأنها جزء من الذات فحسب . . . بل ولانها تنسجم مع كل شيء جديد . . . فجمعت بين قوة البأس وعمق العقيدة . . . وجمعت بين النباهة الفطرية والمعارف المكتسبة . . . وجمعت كذلك بين الفراسة الطبيعية الساذجة . . . وبين المكر والدهاء والأبداع .

ب ـ نعم لقد اجتمعت في تلك السمات بعض صفات الشر . . . (ولكنها لا تظهر الا إذا ارادت هي) . . . وفيها كل أصناف الخير . . . وقد (كانت مشاعا لها وللجميع) . . . شريطة الا يتغير الدستور الابدي واستبدال الانحراف والخلل بما هو شيء . . . فالباديء (في عرف العربي) دائماً هو الأظلم .

ج ـ وهناك أمور أخري حيوية . . . ذاتية أو جماعية . . . ربما تسبب البعض القليل في

نسيانها . . . أو الغريب في تجاهلها . . . وأعني
بها (الآفات العامة) ومدي علاقتها بالمجتمع
والطب والكهانة والعطاره . . . تري ما هو
تحديد معانيها ومفاهيمها عند العربي في زمن
الجاهلية ؟ . . وكيف كانت تعابيرها
ومصطلحاتها ؟ . . . فلقد جاءت الينا على
اشكال متعددة . . . واصطلاحات أو رموز
متنوعة . . . كتبت في أخبار النثر شيئاً . . .
وكتبت في أخبار الشعر شيئاً آخر . . . وبما
أننا اقل خبرة وأكثر جهلا . . . فآثار تلك
التعابير تجعلنا (نكون) دائماً أقرب إلى
(الأحوط) . . . وأحوج ما تكون إلى التقريب
في تلك المواقف وإليك الأسباب :

أولا — سوف نطلق على تلك الآفات العامة (الأمراض
الأجتماعية أو الآفات الاجتماعية) . . وبدون شك سوف
تتضح الحقيقة عندما تتوزع إلى هذه المستويات :

أ — منها ما يتعلق بالأخلاق والسلوك العام والعقيدة
. . . وكيف اختلطت المفاهيم ما بين الطب
والكهانة والسحر والجان الخ . .

ب — ومنها ما يتعلق (بالآلام العضوية) وماذا

(كانت تعنى) في عرف العربي القديم . .

ج – ومنها ما يتعلق بحالات (البلبال النفساني) والجهاز العصبي . . . وماذا كانت تعني في مفهوم العربي القديم .

د – ومنها ما يتعلق بالعقل (واللوثة العقلية) والتى كانت تدلل على نفسها . . . اما بالشفاء واما بالموت (المادى أو المعنوي) .

ه – وكانت امراض الطبقات العليا من الاغنياء والتجار . . . محصورة على الأغلب في المدن وبعيدة عن الصحراء . . . واكاد احددها بأمراض (جهاز الهضم) وآفات (جهاز التناسل) .

و – اما أمراض الفقراء والغرباء والمحرومين من الطبقات الدنيا . . . فأغلب الظن انها كانت (أمراضا عضوية حقيقية) مثل السل والكساح والتشوهات الخلقية . . . والألتهابات والمضاعفات . . . والعمي والصمم . . وهي أيضاً (محصورة في المدينة) دون الصحراء . . . ومعها كلها (أمراض البيئة الجغرافية) التي لا تفرق بين

المدينة والصحراء . . . وانما تصطبغ بصبغة
اقتصادية . . . مثل (آفات الزراعة والحشرات
. . . وأمراض الماشية والقوارض . . . وكذلك
آفات انحراف السلوك المهني من لصوصية
وشعوذة وتدجيل) الخ . .

ثانياً — ومجرد وجود الموسويين والعيسويين المنحرفين في ذلك المجتمع يشجع على انتشار الآفات والامراض الاجتماعية . . . اما عن طريق تجارة الجواري والقيان . . . واما عن طريق الأرتهان والرباء وبيوت (الرايات الحمراء) وأمثالها .

ثالثاً — لذا فان أمة العرب في الجاهلية كانت أمة عجيبة وفريدة في نوعها . . . عجيبة في طبائعها وعادتها . . عجيبة في سذاجتها وذكائها وفراستها . . . وكان يغلب عليها دائماً مبدأ (الطبع يغلب التطبع) . . . فلذا قد اصبحت مفاهيمها ومداركها عجيبة هي الأخري . . تأخذ اشكالا وألوانا (قد تختلف وقد تتجانس) . . . فالصحة في مفهومها هي (القوة والسعادة) وأن يحققها بالوصول إلى الغرض من أقرب طريق . اكاد اجملها في كلمات ثلاث (الألم البدني . . . بلبال النفس . . . والررزق من أجل الحياة) .

أ – فالألم (تعبير شامل) يعطي كل أنواع الأمراض العضوية ومضاعفاتها .

ب – والبلبال النفساني . . . تعبير شامل ايضاً . . . يغطي كل أنواع الاكدار والعواطف .

ج – والرزق من أجل الحياة . . . تعبير شامل لكل الجائحات الاقتصادية وويلات البيئة الجغرافية .

تلك هي حدود ذلك المجتمع (الصحية) ذاك المجتمع الذي عاصر فارس والروم . . . واقتبس من العراق والهند واليونان . . . واختلط بالترك والاحباش والخزر حددناها بعد جهد جهيد وبحث طويل . . . وعالجناها معالجة واقعية وموضوعية . . . لا لكي تصل إلى القارىء بشكل مشوق وجذاب فحسب وانما لندرك فوائدها . . . ولو جزءاً يسيراً مما بذلنا . . . تري من هو ذلك المجتمع ؟ . . وكيف يتعامل مع الأوبئة والآفات في ذلك الزمان ؟. . وما هي المؤثرات (الداخلية والخارجية) التي أثرت عليه ؟!.

الصور الواقعية لذاك المجتمع العربي

منقولة عبر السنين والايام ... إلى الافهام التي تبتغيها ... وإلى المدارك التي تنشدها .. فهي وأيم الحق صورة من صور حياتنا القديمة ... وحضارتنا وامجادنا .. الخالدة ... لا يقبل التاريخ نسيانها إذا كنا نعترف بالأنتماء اليها ... ولا يغضب التاريخ أبدا إذا ما سلبناها شيئاً من معلوماتها واخبارها ... معلومات واخبار كانت في يوم من الأيام مهملة أو مهجورة في زوايا مظلمة من زوايا التاريخ العجيبة .

١ ــ لافرق عندنا بين ما كان موروثا من مثالب ومحامد ... أو بين ما كان مكتسبا من نمو وتطور في العلم والمعرفة ... فكلها امام المنصف في الرأي سواء .

٢ ــ ومن تلك الاحداث والمواقف ننسلخ خلسة ... لندخل (خلسة) إلى المواضيع الاجتماعية المهملة ... بما فيها التطبيب والعطارة ووسائل الشفاء .

٣ ــ قد ننزلق إلى بعض المآخذ ... هذا أمر مسلم

به . . . ولكن ما سوف نسجله من تعليق أو تحليل . . .
سيمثل وجهة نظرنا عن صور وأشكال كانت مجهولة قبل
آلاف السنين .

٤ ــ ومادام الأمر كذلك . . . فقد تبلورت تلك
الوقائع والأحداث والمواقف في أذهاننا تماماً . . . ومنها
استخلصنا ما كان من سلوك حي أو تصرفات حيوية :

أ ــ سواء أكان ذلك في السلوك الفردي الذاتي . . .
وهو فطري وطبيعي

ب ــ أم كان في السلوك الجماعي الموروث .

ج ــ أم كان على شكل أعراف ودساتير متبادلة .

فالانسان العربي في طبيعته الأولى . . . كان له صبغة
انسانية وتقدمية تختلف تمام الاختلاف عما كانت عليه
عقليات تلك الحضارات المجاورة أو المعااصرة . . . أكاد
احصرها في (كلمتين) متى جعلت للبيئة الجغرافية ،
وللبيئة الاجتماعية آثارها وتأثيرها . . . تلك الصبغة
الانسانية اكاد اطلق عليها (الانسان العربي السد اسي) . .
لا لأنه وحيد في صفاته الانسانية الحية وسلوكه الاخلاقي
فحسب . . . وانما يتعلق ذلك :ــ

١ ــ بالتكوين الكامل للأنسان العربي (تشريحيا
وفسيولوجيا) .

٢ ـ جاء ذلك التكوين طبيعياً . . . ومن خلال (التوزيع الذاتي) البعيد كل البعد عن الاخلاط الدخلية ظهرت (شخصية اعتبارية) صراحة ولها ثلاثة اركان حية . . . (قد تختلف وقد تأتلف) حسب الظروف والأحوال القوية :

أ ـ قوة البدن (والفتنة الطبيعيه) بالفتوة والفروسية .

ب ـ قوة الروح وعمق العقيدة .

ج ـ الثقة بالنفس دقة الفطنة والفراسة .

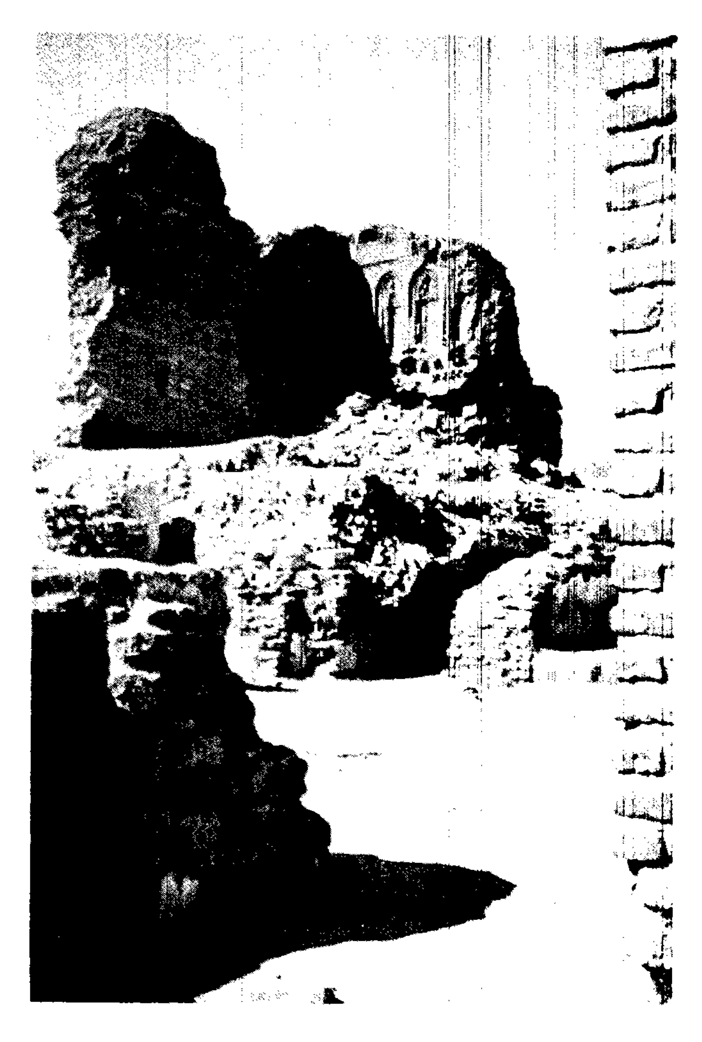
٣ ـ ومن خلال (التعبير والتأثير) لها . . . أو من خلال الووافع وردود الفعل (لتلك القوي) فرض الواقع نفسه فرضا بقوي ثلاثة أخري :ـ

أ ـ عراقة الأصل المكين .

ب ـ الحنين العنيد إلى الأرض والوطن والأقليم .

ج ـ التفاني في قوام العفـّة والأنفة الذاتية بعيداً عن المهانة والعار .

٤ ـ فلا عجب ان ينفرد ذلك المجتمع (وحيداً) بين تلك الأمم والشعوب . . . أرتفع بتلك الصفة السداسية إلى مقام متطرف (لنا الصدر دون العالمين أو القبر) ولم يكن من بينها (الخوف من الامراض أو الفزع) من تلك



آطـلال الرها (الرقـه)

الآفات أبداً . . . فلا عجب اذن ان تكون تلك الصبغة (هي سر نوعيته (*Specific*) وهي سر ديمومة التاريخ لسبه الجزيرة العربية .

٥ — وبالمقارنة مع ما كان موجودا آنذاك . . . نجد شعوب شبه الجزيرة العربية قد اضافت إلى ما هو معروف . (أشياء مألوفة) . . . لم تكن في عرفهم دخيلة أبدا . . . وانما دخلت اليهم خلسة . . . أو نقلوها خلسة . . . ثم أخرجوا منها اشياء جديدة بمرور الزمن تنسجم مع النفس . . ومع الذكاء والفطنة . . . وكذلك مع النزعات والحاجات الحيوية التي ذكرناها .

٦ — وبدون شك كان من بينها اخبار عن الأمراض والأوبئة . . . ومعلومات عن العطارة والعقاقير . . . وطرائق متداخلة عن العقيدة وأمور الشفاء . . . تأثيرها يظهر حسب اهميتها وحسب تأثيرها وأفضليتها . . . لا لأنها جاءت جديدة . . . وانما لأنها تنسجم مع رغبات كافة تلك الشخصية الأصيلة .

ومن تلك المعلومات والأخبار :

١ — مجموعات أبوقراط وجالينوس وديسوقريدس .. التي ذكرناها .

٢ – مضافا اليها ما جاء دخيلا (من اسرار الخليفة) مع الكلدانيين والسريانيين واتباع موسي .

٣ – مضافا اليها ما كان (محلياً) منذ أقدم العصور . . . أصله تجاري بحت ولكن مفعولها يتحول تلقائياً إلى اجتماعي بمرور الزمن . . . وهذا السبب المباشر في (تفريق) مجتمع شبه الجزيرة العربية إلى مجتمعين (مجتمع المدينة) ومجتمع الصحراء .

فيما يخص المعلومات والأخبار الأولى . . . أجد نفسي ملزم بملاحظات ثلاث :
الملاحظة الأولى :

لم تقتبس كلها . . . ولم تؤخذ كما جاءت على علاتها من المجتمعات اليونانية أو الرومانية . . . وانما حرفت أو عدلت أو (طعمت) حسب الظروف والأحوال .
الملاحظة الثانية :

كون شبه الجزيرة العربية وقعت جغرافياً موقعاً دقيقاً بين قارات ثلاث . . . جعل أمر التبادل والاقتباس أو الأكساب أمراً مؤكداً لا مفر منه . وعليه فهناك (ما هو شبه مؤكد) من أن (تبادل الآفات والامراض) قد دخل خلسة إلى شبه الجزيرة العربية . . . ومن ثمّ تبعته طرائق

العلاج ووسائل الشفاء بنفس الأسلوب .
الملاحظة الثالثة :

ذلك (المزج أو الخلط) اللاشعوري . . . قد يكون متجانسا في بعض الأحوال وقد لا يكون . . . وأمر ذلك متروك إلى اساسات جوهرية ذكرناها (قبل الآن) واعني بها :-

أ - الأستعداد الذاتي لدي الفرد العربي .

ب - الاستعداد الذهني لدي صاحب المهنة ومن يتعاطي (التطبيب) .

ج - وبدون شك كان هناك (الخبرة والتطبيق العملى) ثم المفاضلة ما بين المفيد وغير المفيد .

ولا عيب في ذلك أبداً . . . فهذا شيء كامن في النفس . . . وزعت أمور الأمراض والويلات إلى أصناف . . . كما وزعت أمور الشفاء والعلاج إلى (طب شعبي) وطب جديد . . . (طب محلي) يتناسب مع المهنة والحاجة . . . وطب خارجي قد تدعوا الضرورة إلى الترحيب به .

أما عدم تسجيل تلك المعلومات . . . أو عدم تدوين تلك الأخبار والملاحظات . . . فأمر يعود إلى عدة أسباب :-

١ - لم يكن الجهل وحده هو المسؤول . . . فالجهل

قد كان عاما وشاملا لكل الشعوب والأمم في تلك الأزمان .

٢ ــ إذ لولا ذلك لما كانت هناك مقايس (للتطور والنمو والمقارنة) ولما كانت هناك معايير (للعلم والمعرفة) والتمييز .

٣ ــ وانما كانت كما قلنا (صبغة نوعية) وفطرية في الشخصية العربية آنذاك . . . صبغها الله بها . . . ومن أحسن من الله صبغة ؟!.

٤ ــ الشعر والشعراء . . . كانوا عناصر فعالة . . . والاحداث والزعامات والقيادات كانت عناصر أخري . . . تسجلت في القلوب التي تملك الاستعداد . . . وتسجلت في العقول التي تتميز بقوة الحفظ والأستيعاب .

٥ ــ ولم تكن للآفات والويلات (سجلات) في تلك المواقف والاحداث . . . ما لم تكن (أفة مؤثرة) حسب مفهومه هو . . . أو (مرضاً قاتلا) حسب تعبيره هو . . . أو (عظيمة من العظائم) حسب تصوره هو .

وعن هذا الموضوع يقول الأستاذ العقاد رحمه الله (بيد أن اشتغال العرب الطويل بالتجارة ورعي المواشي والأنعام . . . قد باعد بينهم وبين حب الكهانة والخرافة. . . وقارب بينهم وبين طب التجارب العلمية) . .

المراجع

العربية

١ ــ القرآن الكريم . . . وبعضاً من البخاري .

٢ ــ المراجع العربية القديمة (القفطي ، أبن أبي أصيبه . . مذكرة داوود . . . وأبن البيطار . . . والجاحظ)؛

٣ ــ المراجع العربية الحديثة (أعمال العقاد . . . مجلة الرسالة . . . أعمال مصطفى صادق الرافعي . . . حمد الجاسر . . . والتاريخ العام لليهود) .

الأجنبية :

أعمال (هـ. ج. ويلز) .

أعمال (سترابون) .

أعمال ألدو ميلي .

نشرات اليونيسكو .

